الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

الشعبة: لغة وأدب عربي

التخصص: لسانيات عامة

عنوان المذكرة

العلل النحوية بين المدرستين البصرية والكوفية قراءة في كتاب: "الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين" ـ لأبي البركات الأنباري ـ

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر

اسم الطالب ولقبه:

- عامر طاوسي
- شكري برباقي

اسم المشرف ولقبه:

منير بوزيدي

أعضاء لجنة المناقشة

اسم ولقب العضو	رتبته	مؤسسته	صفته
عادل رماش	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج	رئيسا
ياسين بغورة	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج	ممتحنا
منير بوزيدي	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج	مشرفا

الموسم الجامعي:1445-1446هـ/2024-2025م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لانجاز بحث)

أنا الممضي أدناه

السيد(ة): عامر حلاوسي ..... الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 208199498 .....

الصادرة بتاريخ: 2022.08.15 ..... عن بلدية: دار الشيوخ ..... ولاية الجلفة .....

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي .....

التخصص: لسانيات عامة .....

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر. عنوانها:

العلل النحوية بين المدرستين البصرية والكوفية قراءة في كتاب:

"الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين"

- لأبي البركات الأنباري -

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

برج بوعريريج في: ...../...../.....

إمضاء المعني

شوهد قصد التصديق
السيد: عامر
بطاقة التعريف الوطنية رقم:
صادرة بتاريخ:
الصادر في:
الإنبس للطبس لشعبي البلدي و بتفويض من
ضابط الحالة المدنية
حرود زهير
2025 جوان

أحررت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم 933 المؤرخ في 28-07-2016 المحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لانجاز بحث)

أنا الممضي أدناه

السيد(ة): بكري بريافة ..... الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 199/155 (ب ... ين) .....

الصادرة بتاريخ: 2021/07/03 عن بلدية: برج حمادة ولاية برج بوعريريج .....

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي .....

التخصص: لسانيات عامة .....

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر. عنوانها:

العلل النحوية بين لغة رستق البصرية والكوفية قراءة

في كتاب: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين

لأبي البركات الأنباري.

أصرح بشرفي أني التزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

بريافة بكري

برج بوعريريج في: 2024/06/15

إمضاء المعني

15 جوان 2025

أنظر المرسوم التنفيذي رقم 08-130 المؤرخ في 19 ماي 2008 الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه وإخوانه الى يوم الدين، وبعد:

نرى لزاما علينا تسجيل الشكر وإعلامه ونسبة الفضل لأصحابه، استجابة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله".

يشرفنا أن نتقدم بالشكر الجزيل والثناء الخالص والتقدير إلى: جميع أساتذتنا الذين أشرفوا على تكويننا وتوجيهنا بقسم اللغة والأدب العربي بجامعة محمد البشير الإبراهيمي ببرج بوعريريج كل باسمه وجميل وسمه، ونخص بالذكر الأستاذ: منير بوزيدي لتفضله بالإشراف على هذه المذكرة.

إلى كل من قدم لنا يد العون والمساعدة من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث.

عامر طاوسي

شكري برباقي

الإهداء

إلى آبائنا وأمهاتنا الذين لا تزال دعواتهم ترفعنا درجة، وتزيد في أعمارنا بركة، فنتمنى لهم دوام الصحة وطول العمر

إلى رفيقات دربنا وأمهات أبنائنا زوجاتنا الحبيبات

إلى شموع بيوتنا أبنائنا وبناتنا كل باسمه وجميل وسمه، متمنين لهم أمنية كل أب وهي النجاح والتوفيق في الحياة والصلاح والفلاح، راجين من الله أن ينير عقولهم ويطيل أعمارهم.

إلى زملائنا وزميلاتنا بقسم اللغة والأدب العربي بجامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج دفعة:2025/2024م.

إلى كل من يعرفنا ويقدرنا

عامر طاوسي

شكري برباقي

المقدمة

يُعدّ النّحو العربيّ من أبرز العلوم الّتي اعتنت بها الأمّة الإسلاميّة منذ القرون الأولى لما له من صلة وطيدة لحفظ القرآن الكريم وفهم السّنّة النّبويّة الشّريفة، وقد نشأت في هذا السّياق مدارس نحويّة متعدّدة من أبرزها المدرسة البصريّة والمدرسة الكوفية اللتان مثلتا قطبي الخلاف النحوي في التراث العربي.

ومن أبرز مظاهر هذا الخلاف، ما يعرف بالعلل النحوية، وهي التفسيرات والتعليلات التي يوردها النحاة لتسويغ القواعد والأحكام اللغوية، وقد تناولت هذه العلل بالبحث والدراسة كتب كثيرة لعل من أبرزها كتاب: "الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين" لأبي البركات الأنباري وهو من الكتب الجامعة التي عرضت الخلافات النحوية بأسلوب علمي ومنهجي.

جاءت هذه المذكرة لتسلط الضوء على" العلل النحوية بين المدرستين البصرية والكوفية" وذلك من خلال دراسة تحلية تطبيقية لكتاب "الإنصاف" بهدف الوقوف على مناهج المدرسة النحوية في بناء العلل وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما ومدى تأثير ذلك في تطور الفكر النحوي العربي.

تتمحور هذه الدراسة حول إشكالية أساسية يمكن صياغتها في السؤال الآتي: ما طبيعة العلل النحوية عند المدرستين البصرية والكوفية، وكيف عالج أبو البركات الأنباري هذه العلل والخلافات في كتابه "الإنصاف في مسائل الخلاف"؟

ومن هذه الاشكالية تتفرع مجموعة من التساؤلات الفرعية:

1.ما مفهوم العلة في الفكر النحوي العربي؟

2.ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين المدرستين البصرية والكوفية في بناء العلل؟

3.ما منهج الأنباري في عرض المسائل الخلافية وتفسير العلل؟

4.إلى أي مدى أسهم كتاب "الإنصاف "في توضيح العلل النحوية وتيسير المقارنة بين المدرستين؟

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف من أبرزها:

1.رصد مفهوم العلة النحوية في الفكر النحوي العربي وتطورها التاريخي.

2.تمييز المدارس النحوية الكبرى، وخاصة البصرية والكوفية من حيث المنهج والمصطلح.

3.تحليل نماذج مختارة من كتاب الإنصاف توضح الخلاف في العلل النحوية.

4.التعرف على منهج الأنباري في عرض المسائل النحوية وتمييز موقفه منها.

5.إبراز القيمة العلمية لكتاب "الإنصاف" في ميدان الدراسات النحوية والخلافية.

تتبع أهمية البحث من عدة جوانب.

-كشف النقاب عن أحد أبرز مصادر الخلاف النحوي وهو كتاب "الإنصاف" الذي يمثل موسوعة نحوية مرجعية.

-فهم طبيعة العلل النحوية واختلاف مناهج النحاة في تفسير الظواهر اللغوية.

-الاسهام في الدراسات المقارنة بين المدرستين البصرية والكوفية وهو مجال حيوي لفهم تطور الفكر النحوي.

-إبراز شخصية أبي البركات الأنباري ودوره في توحيد الرؤى النحوية من خلال كتابه.

-تحفيز الباحثين على العودة إلى كتب الخلاف النحوي لفهم أعمق للغة العربية وأصولها.

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من المناهج العلمية المتكاملة التي ساعدت على تحقيق أهداف البحث وهي:

-المنهج الوصفي التحليلي: وظف في تناول المفاهيم النحوية الأساسية خاصة مفهوم العلة النحوية وأنواعها ونشأتها وتحليل آراء النحاة في ضوء المعطيات النظرية.

-المنهج التاريخي: استخدم في تتبع نشأة النحو العربي وتطور المدرستين الكوفية والبصرية مع بيان السياق التاريخي الذي أثر في توجه كل مدرسة.

-المنهج المقارن: اعتمد عليه في دراسة المسائل الخلافية بين المدرستين من خلال نماذج مختارة من كتاب "الإنصاف" للموازنة بين آراء النحاة وتحليل مواقفهم من العلل النحوية.

جاء اختيار موضوع هذه المذكرة الموسوم بـ: "العلل النحوية بين المدرستين البصرية والكوفية من خلال كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لـ "أبي البركات الأنباري" نتيجة لجملة من الاعتبارات الموضوعية والعلمية من أبرزها:

-اقتراح الأستاذ المشرف: فقد تم اختيار هذا الموضوع بناء على توجيه الأستاذ المشرف الذي رأى فيه موضوعا علميا ذا قيمة أكاديمية عالية نظرا لما يتضمنه من إشكالات نحوية دقيقة وما يتيحه من مساحة للمقارنة والتحليل بين أعرق مدرستين نحويتين.

. ما يحمله الموضوع من عمق علمي وثراء معرفي: إذ يعد موضوع العلل النحوية من القضايا الجوهرية في الدرس النحوي العربي، ويمثل مدخلا لفهم منهج النحاة في تفسير القواعد وضبط الظواهر اللغوية.

-مكانة كتاب "الإنصاف "في التراث النحوي: حيث يعتبر من أهم المؤلفات التي جمعت مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين وعرضها بأسلوب منهجي وتحليلي يجمع بين الرواية والدراية.

وكل هذا جعلنا نتفاعل مع اقتراح الأستاذ ونتبناه بكل حماسة.

لا يخلو أي عمل بحثي من التحديات والصعوبات وقد واجهتنا خلال إعداد هذه الذكرة جملة من العراقيل يمكن تلخيصها فيما يلي:

- شح المراجع المتخصصة التي تتناول موضوع العلل النحوية بين المدرستين البصرية والكوفية بشكل مقارن، الأمر الذي تطلب جهدا مضاعفا في تتبع المصادر الأصلية وتحليل محتواها.

- صعوبة التعامل مع النصوص التراثية خاصة ما تعلق بكتاب" الإنصاف" إذ يتطلب فهمه إلماما بمصطلحات النحاة القدامى، ودقة في تتبع الخلاف النحوي والعللي بين المدرستين.

- تداخل الآراء وكثرة المصطلحات النحوية مما يتطلب وقتا طويلا في التميز بين المفاهيم وضبط المصطلحات وموازنة الأقوال المختلفة.

وبعد رحلة بحثية وقفنا على إشكالية عميقة تتعلق بالخلاف النحوي بين المدرستين وتجلت لنا أبعاد هذا الخلاف من خلال تتبع علل النحو وتفسيرها في ضوء القواعد والأصول النحوية التي تبنتها كل مدرسة.

في الفصل الأول عرضنا السياق التاريخي لنشأة المدرستين البصرية والكوفية مبرزين الظروف العلمية والثقافية التي أسهمت في تطور الفكر النحوي داخل كل مدرسة منهما، كما قارنا بين أعلامهما ومناهجهم في تناول القضايا النحوية.

أما الفصل الثاني: فقد ركزنا على مفهوم العلة النحوية، وبينا أنواعها، وتتبعنا تطور هذا المفهوم في الفكر النحوي العربي، حيث اتضح أن العلة لم تكن مجرد تبرير شكلي للظواهر اللغوية، بل كانت أداة تحليل وتفسير عميقة تكشف عن البنية المنطقية للغة العربية.

وفي الفصل الثالث والأخير: قمنا بدراسة تطبيقية من خلال كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف "، فاخترنا نماذج من المسائل التي اختلفت فيها المدرستان وحللناها وفق منهج أبي البركات الأنباري الذي اتسم بالجمع والتحليل والموازنة بين الأقوال، وقد تبين لنا من خلال هذا التحليل مدى عمق هذا الكتاب وأهميته في عرض الخلافات النحوية بطريقة علمية دقيقة.

وفيما يخص الدراسات السابقة نقول: لسنا أول من تطرق للبحث في هذا النوع من الدراسات فقد سبقنا الكثير من الباحثين الذين درسوا موضوع العلل والخلافات النحوية، بالإضافة إلى دراسة حياة وسيرة ابن الأنباري وكتابه "الإنصاف" بالنقد والتحليل، زد على ذلك الدراسات والبحوث التي تناولت تاريخ وأصول النحو العربي مرورا بالمدارس النحوية خاصة البصرية منها والكوفية، فإن هذه الدراسات وإن تنوعت مواضيعها فإنها لا تخلو من التصريح أو التلميح . ولو بالنزر القليل . إلى موضوع العلل والخلافات النحوية، بل ونجد في معظمها فصولا ومباحثا أفردت وخصصت لها.

وعلى سبيل المثال لا الحصر رسالة تقدم بها "عبد العزيز على مطلك الدليمي" . بعنوان "الدراسات النحوية واللغوية في البحر المحيط". إلى كلية الآداب في جامعة بغداد سنة (1992) حيث ذكر في الفصل الثاني من الرسالة موضوع التعليل.

. الرأي الكوفي في الفكر النحوي عند عباس حسن في كتابه "النحو الوافي"، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تخصص النحو والصرف، للطالب توفيق بن زايد محمد الفهمي جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة(2012).

-المباحث النحوية في كتاب مختار تذكرة أبي علي الفارسي وتهذيبها لأبي الفتح عثمان ابن جني في رسالة قدمتها "إسراء قحطان خلف "إلى مجلس كلية التربية الأساسية في جامعة "ديالي" سنة(2014).

-ابن الأنباري وجهوده في النحو، رسالة دكتوراه مقدمة إلى معهد الآداب الشرقية في جامعة القديس يوسف . بيروت . سنة (1977)، للطالب جميل إبراهيم علوش تطرق من خلالها إلى سيرة ابن الأنباري كما ذكر العلة والتعليل بالإضافة إلى نشأة الخلاف النحوي.

. منهج ابن الأنباري في الاحتجاج من خلال كتاب "الانصاف في مسائل الخلاف" مذكرة ماجستير من إعداد الطالبة جريد سهيلة.

ورغم وفرة الدراسات حول موضوع العلل النحوية والخلاف النحوي فإن هذه المذكرة لها تركيز خاص حول العلل النحوية في ضوء الخلاف النحوي بين المدرستين البصرية والكوفية وتطبيق ذلك عمليا من خلال نماذج من كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" وهي زاوية لم تعالج بهذه الصورة المتكاملة من قبل.

ومن بين المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة نذكر منها:

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري.
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، للشيخ محمد الطنطاوي.
- المدارس النحوية، لشوقي ضيف.

-النحو العربي (العلة النحوية نشأتها وتطورها)، لمازن المبارك.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر الله سبحانه وتعالى أن وفقنا لإتمام هذا العمل، كما نتقدم بخالص الشكر والامتنان للأستاذ المشرف "منير بوزيدي" على ما قدمه من توجيه وإرشاد، فله منا كل التقدير والاحترام.

كما نتقدم بالشكر إلى لجنة المناقشة التي قبلت مناقشة هذه المذكرة وتقييمها.

الفصل الأول: نظرة تاريخية للمدرستين البصرية والكوفية

- ✓ **المبحث الأول: نشأة النحو العربي**

المطلب الأول: الإرهاصات الأولى لوضع النحو

المطلب الثاني: القبائل المعتمدة في وضع النحو

المطلب الثالث: مراحل النحو العربي

- ✓ **المبحث الثاني: المدرسة البصرية وأهم أعلامها**

المطلب الأول: نشأة المدرسة البصرية

المطلب الثاني: أهم أعلام المدرسة البصرية

المطلب الثالث: مصادر المدرسة البصرية وأهم خصائصها

- ✓ **المبحث الثالث: المدرسة الكوفية وأهم أعلامها**

المطلب الأول: نشأة المدرسة الكوفية

المطلب الثاني: أهم أعلام المدرسة الكوفية

المطلب الثالث: مصادر المدرسة الكوفية وأهم خصائصها

المبحث الأول: نشأة النحو العربي.

توطئة: ذكر المؤرخ الكبير ابن خلدون في مقدمته المشهورة بأن علوم اللسان العربي لها أربعة أركان، وذكر بأن الأهم منها هو النحو، إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة، ولولاه لجهل أصل الإفادة.[1]

فعلم النحو من أسمى العلوم قدرا وأنفعها أثرا، به يثقف أود اللسان ويسلس عنان البيان، وقيمة المرء فيما تحت طي لسانه لا طيلسانه.[2]

فهو من أجل العلوم بعد كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فبه يسلم الكتاب والسنة من عادية اللحن والتحريف، فلذا قدر المؤرخون للنحويين جهودهم وخلدوهم بمداد التبجيل والتكريم.[3]

والنحو ملكة وسجية نال العرب منها حظا وافرا كبيرا، فكان لسانهم فصيحا واضحا مبينا، وهو ما برز بوضوح في لسان العرب، من خلال القدرة على الإيجاز مع الدلالة التامة على المعاني.[4] ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا"[5]. تأكيدا على بلوغ قمة البلاغة بأقل الألفاظ.

---

[1] ينظر: ابن خلدون: المقدمة، تح: عبد الله الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 2004، ج2، ص367.

[2] محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، ط2، د ت، ص09.

[3] المرجع نفسه، ص10.

[4] ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ص367.

[5] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب: الاعتصام، باب: قول النّبي صلى الله عليه وسلّم "بُعثت بجوامع الكلم"، رقم:7273، ج4، ص3217.

ويعتبر النحو لب وأساس اللسان العربي، وعليه مداره[1]، لأن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]، فصون هذا الدين – الإسلام – من صون لسانه العربي المبين الذي نزل به الذكر الحكيم، ودارت عليه أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، فواجب حمايته من كل ما يشوبه من الخطأ واللحن حتى لا يساء فهم النصوص والأحكام الشرعية، فالأمر جد خطير ولهذا يعتبر تعلمه إذا اقتضت الحاجة أن يخرج من فرض الكفاية إلى فرض العين إذا تعين تعلمه على واحد.

ويذكر ابن جني بأن النحو هو اتباع أسلوب العرب في كلامهم من حيث الإعراب وبقية التصرفات اللغوية، بهدف التمكن من النطق الصحيح والفصيح مثلهم، سواء عن طريق السماع أو القياس.[3]والسماع هنا مقدم على القياس لما له من دقة في ضبط ونقل كلام العرب الأوائل بطريقة علمية عملية صحيحة عن طريق المشافهة والمعاينة.

والنحو في اللغة هو القصد والاتجاه، ويعرف عند علماء اصطلاحات الفنون بأنه: "علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كلام العرب".[4]والقصود بالعرب هنا–الأعراب– الذين استقرأ النحاة لغتهم فيما بعد واتخذوا منها مصدرا لقواعدهم.

المطلب الأول: الإرهاصات الأولى لوضع النحو:

[1] صادق فوزي دباس: جهود علماء العربية في تيسير النحو وتجديده (مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية)، العددان (1–2)، المجلد (8) 2008، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ص86.

[2] فراس رياض السقال: المدرسة الكوفية، مقال على شبكة الألوكة، 2017.

[3] ينظر: ابن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، د ط، 1952، ج1، ص34.

[4] ريم خلف الجعيد: أصول النحو وتاريخه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ص6–7.

لقد كان لبلاد العرب موقع جغرافي متوسط[1]، يعتبر من أهم المواقع الاستراتيجية خاصة في شؤونهم التجارية، والتي كانت تقام في أسواقهم آنذاك[2]، وكان اعتزاز العرب بما يلقى في هذه الأسواق من شعر وخطابة أكثر من التجارة نفسها، حيث عاد ذلك كله على اللغة بتثبيت دعائمها وإحكام رسوخها، وبقية كذلك متماسكة البنيان غير مشوبة بلوثة الأعجام إلى أن سطع على الجزيرة العربية نور الإسلام.[3]فحول المنطقة من إثنية عرقية منغلقة على ذاتها الى منطقة منفتحة على الأمم الأخرى بكل أطيافها وأجناسها.

دخل الناس في دين الله أفواجا وتوالت الفتوحات الإسلامية التي بلغت ذروتها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، حيث انتشر الإسلام في مناطق واسعة، مما أسهم في اختلاط العرب بشعوب ذات خلفيات ثقافية ولغوية متباينة، ونتيجة لهذا الاختلاط بدأ اللسان العربي يعيش مرحلته الأخيرة، مرحلة الصفاء والنقاء التي عاشها قبل ذلك.

إلا أنها كانت بشرى خير للغة العربية لتبدأ بها مسيرة وعهدا جديدا وتاريخا مجيدا مشرفا يجلب العلماء إليها، وَبُلغَت أصحاب الهمم الكبيرة والعقول الراقية لتخليدها، وحمايتها، وصونها من كل ما يشوبها من أخطاء أو لحن، لأن المسألة أصبحت خطيرة جدا، لا لأجل اللغة في حد ذاتها، بل لأنها أصبحت تحمل وتمثل أعظم كتاب على وجه الأرض، وهو

[1] ينظر: سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلة والإسلام، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط4، 1993، ص9.
[2] محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص13.
[3] المرجع نفسه، ص14.

القرآن الكريم الذي نزل باللسان العربي المبين، وبه أصبح للغة العربية صبغة وقداسة خاصة لم تكن لباقي اللغات.

يقول ابن خلدون: "عندما جاء الإسلام، تغيرت الملكة بسبب اختلاط العرب بالأعاجم وسماعهم المخالفات، مما أفسد ملكة اللسان العربي".[1] وهنا يشير إلى قضية مهمة كانت هي السبب الرئيس لوضع النحو، وعليها مداره ألا وهي اللحن.

وظهور اللحن في الكلام كان منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم، مع دخول الموالي والمغتربين مما دفع العرب إلى الاهتمام بتعلم الإعراب – الشكل – لأنه أول ما اختل من كلام العرب.[2] وعليه فمعنى الكلمة ودلالتها مرهون بالإعراب، فإذا ما تغير الشكل تغير معنى الكلام وتغيرت مقاصده.

فاللحن يعتبر الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها، وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها، فقد كانت حوادثه المتتابعة نذير الخطر الذي هب على صوته أُولُو الغيرة على العربية والإسلام.[3]

وهذا ما عبر عنه "مصطفى غلاييني" بقوله: "لما خشي أهل العربية من ضياعها، بعد أن اختلطوا بالأعاجم، دونوها في المعاجم، وأصلوا لها أصولا تحفظها من الخطأ".[1]

[1] ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ص368–369.

[2] ينظر: أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1974، ص19.

[3] سعيد الأفغاني: في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، 1987، ص6.

ويعود سبب وضع النحو العربي إلى عوامل دينية وأخرى قومية واجتماعية:

. العوامل الدينية: ترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكم أداءً فصيحا سليما، وخاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة[2]، ولذا أهَابَت العصبيّة العربية في الصدر الأول الإسلامي بالعلماء لصد اللحن، خوفا من تسربه إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بما هدوا إليه، وسموه علم النحو.[3]

. العوامل القومية: ترجع إلى اعتزاز العرب بلغتهم، فأرادوا الحفاظ عليها خوفا من اندثارها وضياعها بين اللغات الأعجمية.[4]

. العوامل الاجتماعية: ترجع إلى أن الشعوب المتعربة أحسَّت الحاجة الشديدة لمن يرسم لها أوضاع العربية في إعرابها، وتصريفها، حتى تتمثلها تمثلا مستقيما، وتتقن النطق بأساليبها نطقا سليما.[5]

ويضيف تمام حسان العامل السياسي الذي برز مع قيام الدولة الأموية العربية، وتزامن مع عودة العصبية والعرقية، بعدما كان الناس كلهم إخوة تحت راية الإسلام.[6]

المطلب الثاني: القبائل المعتمدة في وضع النحو:

---

[1] مصطفى غلاييني: جامع الدروس العربية، تح: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية، بيروت، ط28، 1993، ج1، ص7.

[2] شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، د ت، ص11.

[3] ينظر: محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص18.

[4] شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص12.

[5] المرجع نفسه، ص12.

[6] ينظر: تمام حسان: الأصول، عالم الكتب، القاهرة، د ط، 2000، ص28.

وضع النحو العربي كان نتيجة لجهود علماء اللغة في العصر الإسلامي المبكر، وقد استندوا بشكل كبير على لهجات بعض القبائل العربية التي كانت تعتبر فصيحة وخالية من اللحن، خاصة قبل اختلاط العرب بالأعاجم بعد الفتوحات الإسلامية، وفي هذا السياق، اعتمد النحاة على قبائل معينة لكونها تمثل العربية الصحيحة أو الفصيحة.

ذكر السيوطي بأن الذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم[1]:

. قيس بن عيلان: تشمل عدة بطون مثل هوازن وسليم، كانت لهجاتها من المصادر التي رجع إليها النحاة.

. تميم: من القبائل التي سكنت نجد وعرفت بفصاحتها ودقة لغتها، استشهد بلهجتها كثيرا في النحو والصرف.

. أسد: من القبائل التي سكنت نجدا، استشهد بكلامها في بعض مسائل النحو والصرف.

وهذه القبائل الثلاثة هي أكثر من أخذت اللغة عنهم في الغريب والإعراب والتصريف.

[1] ينظر: جلال الدين السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، تح: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، د ط، 1426هـ/2006م، ص101.

. هذيل: قبيلة قريبة من مكة لها دور بارز في الشعر وكانت لهجتها محل اعتبار عند النحويين.

. طيء: تقع ديارها في شمال الجزيرة العربية، عرفت بفصاحة لسانها واستشهد بكلامها في بعض الموارد النحوية.

. كنانة: هي من القبائل العربية العريقة، وتعد من القبائل العدنانية، وتعد قريش فرعا من كنانة، ولذلك فإن لقبيلة كنانة فرعا غير مباشر في انتشار الفصاحة التي اعتمدها النحويون لاحقا.

وقد كان أساس اعتماد هذه القبائل الست البعد عن الاحتكاك بالأمم الأعجمية المجاورة لهم[1]، ولذا كان أهل البادية يُعدُّون أفصح من أهل الحضر، فكان النحويون يفضلون الاستشهاد بكلام الأعراب، ولم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن جاوروا سائر الأمم الذين حولهم.[2]

المطلب الثالث: مراحل النحو العربي.

[1] عبد الكريم اعقيلان: القبائل التي يحتج بلغتها في أصول العربية، مدونة عكاظ:
https://okelan.blogspot.com اطلع عليه يوم: 2025/04/18 على الساعة: 18:50

[2] جلال الدين السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، ص102.

مراحل النحو العربي تشير إلى النظر التاريخي والعلمي الذي مر به علم النحو في اللغة العربية منذ نشأته حتى استقراره كعلم مستقل، ويمكن تقسيم هذه المراحل إلى عدة محطات رئيسية هي:

1. مرحلة الوضع والتكوين: بدأت هذه المرحلة من عصر واضع النحو أبي الأسود إلى عصر الخليل بن أحمد[1]، ويرجع السبب في وضع النحو في هذه المرحلة إلى ظهور اللحن بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية واختلاط العرب بغيرهم، وكان الهدف من ذلك حفظ اللغة العربية من الفساد، خصوصا لغة القرآن الكريم، حيث كان أبو الأسود الدؤلي من أبرز الشخصيات في هذه المرحلة، إذ يعتبر أول من وضع أسس علم النحو[2]، ومن أبرز سمات هذه المرحلة البدايات البسيطة، وقواعد قليلة واهتمام بالإعراب.

2. مرحلة النشوء والنمو: تمتد هذه المرحلة من عهد الخليل بن أحمد البصري وأبي جعفر الرؤاسي إلى أول عصر المازني البصري وابن السكيت الكوفي[3]، وشهدت هذه المرحلة تنافسا بين البصريين والكوفيين أدى الى تقعيد النحو، ووضع أسس تهدف لحفظ اللغة من اللحن، مع مراعاة الفصاحة والبلاغة.

[1] ينظر: محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص37.

[2] ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص13.

[3] ينظر: محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص40.

3. مرحلة النضج والكمال: وتمتد هذه المرحلة من عهد أبي عثمان المازني وابن السكيت إلى آخر عصر المبرد البصري وثعلب الكوفي[1]، وتمتاز هذه المرحلة بمحاولة تأسيس القواعد وصياغتها بشكل علمي بالإضافة إلى ظهور مدرستين نحويتين بارزتين، البصرية والكوفية.

4. مرحلة الترجيح: كان أساسه المفاضلة بين المدرستين البصرية والكوفية وإيثار المختار منهما، ومحاولة الجمع بين المذهبين البصري والكوفي[2]، بالإضافة إلى تطور المصطلحات النحوية والتوسع في القواعد، كما برز في هذه المرحلة العديد من النحاة كابن جني والزجاجي والمبرد.

المبحث الثاني: المدرسة البصرية وأهم أعلامها.

توطئة:

شهدت اللغة العربية منذ فجر الإسلام تطورا ملحوظا بفعل الحاجة إلى ضبط القرآن الكريم وفهم معانيه بدقة، خاصة مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية واحتكاك العرب بغيرهم من الأمم مما أدى إلى ظهور اللحن في اللسان العربي، وأمام هذا التحدي اللغوي برزت الحاجة إلى تقعيد اللغة وضبط النطق وتحديد قواعد الكتابة والتعبير، ومن هذا المسعى نشأت المدارس النحوية، حيث تميزت كل مدرسة بطرائقها في تناول القواعد النحوية وأسلوبها في الشرح والاستدلال، فكانت البداية مع المدرسة البصرية.

[1] ينظر: محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص46.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص185.

المطلب الأول: نشأة المدرسة البصرية.

يعد محمد بن سلام الجُمحِي أوَّل من تكلم عن دور المدرسة البصرية في نشأة العلوم العربية، دون ذِكرٍ لمصطلح "المدرسة"، وأن أبا الأسود الدؤلي هو المؤسس للعلوم العربية النحوية، وأن مصطلح "مذهب" قد ظهر عند محمد بن الحسين الزبيدي صاحب طبقات النحويين واللغويين.

وأما مصطلح (مدرسة) فقد ظهر عند المعاصرين أمثال "بروكلمان" صاحب كتاب "تاريخ الأدب العربي"، ثم "جوتولد فايل" صاحب كتاب "مقدمة كتاب الإنصاف"، ومن العرب نجد الذين استعملوا مصطلح (مدرسة) مهدي المخزومي، وشوقي ضيف وعبد الرحمن السَّيد.[1]

فالبصرة أول مدينة عُنيت بالنحو واللغة وتدوينها، واختراع القواعد لها، وقد سبقت البصرة بنحو مائة عام حتى أتت الكوفة.[2]

ولعل الحديث عن النحو العربي منذ نشأته الأولى هو حديث عن مدرسة البصرة[3]، ويقول شوقي ضيف في مقدمة كتابه "المدارس النحوية": "وكان طبيعيا أن أبدأ بالمدرسة

[1] أسعد الدين يوسف: النحو العربي ومدارسه، (تركيا: مجلة مسند للدراسات اللاهوتية، ع1، 2022)، ص33

[2] أحمد أمين: ضحى الإسلام، د ط، د ت، ج1، ص606.

[3] فوزية دندوقة: محاضرات في مادة المدارس النحوية مقدمة لطلبة الثالثة لسانس، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2021/2020، ص53.

البصرية لأنها هي التي وضعت أصول نحونا وقواعده ومكنت له من هذه الحياة المتصلة التي لا يزال يحياها إلى اليوم، وكل مدرسة سواها فإنما هي فرع لها وثمرة تالية من ثمارها".[1]

المطلب الثاني: أهم أعلام المدرسة البصرية.

لقد أسهم نحاة البصرة في إثراء الدرس اللغوي بوضع القواعد وصياغة المصطلحات التي ما زالت مرجعا للدارسين حتى اليوم، ومن بين أشهر نحاة البصرة الذين تركوا بصمتهم في هذا العلم نجد:

الخليل بن أحمد الفراهيدي: هو أبو عبد الرحمن بن أحمد البصري الفرهودي الأزدي سيد أهل الأدب قاطبة في علمه وزهده، والغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله، وكان من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء[2]، وكان أعلم الناس وأذكاهم، وأفضل الناس وأتقاهم، ولم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع[3]، فقد كان الغاية في استخراج مسائل وتصحيح القياس فيه، وهو أول من استخرج العَرُوضَ وحصر أشعار العرب بها، وعمل أول كتاب "العين" المعروف المشهور الذي به تهيأ ضبط اللغة، إلى نواحٍ أخرى له مجيدة مشرفة.[4]

[1] شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص5.

[2] ابن الأنباري: نزهة الألباب في طبقات الأدباء، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط،1998، ص49.

[3] أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص45.

[4] سعيد الأفغاني: في أصول النحو، ص172.

وكان عقل الخليل من العقول الخصبة، فهو لا يلم بعلم حتى يلتهمه التهاما، وحقا ما قاله ابن المقفع فيه من أن عقله كان أكثر من علمه، وهو عقل جعله يتصل بكل علم ويحوز لنفسه منه كل ما يبتغي من ثراء في التفكير ودقة في الاستنباط، دقة تذهل كل من يقف على وضعه لعروض الشعر ورفعه لصرح النحو ورسمه المنهج الذي ألف عليه معجم "العين" أول معجم في العربية.[1]

فالخليل يعد بحق واضع النحو العربي في صورته المركبة، سواء من حيث عوامله ومعمولاته الظاهرة والمقدرة، أو من حيث ما يجري فيه من الشواهد ومن علل وأقيسة.[2]

توفي الخليل سنة سبعين ومائة، وقالوا: سنة خمس وسبعين وهو ابن أربع وسبعين سنة.[3]

يونس بن حبيب الضبي: مولى بني ضبة، بارع في النحو، من كُتّاب أبي عمرو ابن العلاء، وقد سمع من العرب كما سمع من قبله، وقد روى عنه سيبويه وأكثر، وله قياس في النحو ومذاهب يتفرد بها، وقد سمع منه الكسائي والفراء وكانت حلقته بالبصرة ينتابها أهل العلم، وطلاب الأدب، وفصحاء الأعراب والبادية.[4]

[1] شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص30-31.

[2] المرجع نفسه، ص56.

[3] أبو بكر الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، د ت، ص51.

[4] السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د ط، د ت، ص27.

سيبويه: ويكنى أبا بِشرٍ، واسمه عمرو بن عثمان بن قُنبُر، مولى بني الحارث بن كعب، وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح، أخذ النحو عن الخليل، وهو أستاذه، وعن يونس وعيسى بن عمر، وأخذ أيضا اللغات عن أبي الخطاب الأخفش وغيره، وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به بعده.[1]حتى أنَّ البعض سَمَّاهُ بقرآن النَّحو لِدقَّته وَوُضُوحِه.

جمع سيبويه في كتابه ما تفرق من أقوال من تقدمه من العلماء كأبي الخطاب الأخفش والخليل ويونس وأبي زيد وعيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء وغيرهم في عِلمَي النحو والصَّرف، إذ كان النحو في ذلك الحين يطلق عليهما، واسمه يَعمُّهما، وأكثرهم نقلا عنه الخليل الذي كان لا يمل لقاؤه، وأنابه في رواية الفن عنه، فكان كتاب سيبويه سجلا حافلا لآراء الخليل في النحو.[2]ويعتبر هذا الكتاب من خيرة الكتب في علم النحو وانفعها، لما حواه من مادة علمية جمعت بين القواعد النحوية والصرفية.

وكانت وفاته في شيراز، وقيل في همذان أو ساوة، واختلف الرواة في تاريخ وفاته، والأرجح أنه توفي سنة (180هـ).[3]

المطلب الثالث: مصادر المدرسة البصرية وأهم خصائصها.

اعتمد البصريون في دراستهم النحوية على مصادر محددة، تميزت بالدقة والصرامة في النقل، ويمكن تقسيم هذه المصادر إلى أقسام رئيسية في مقدمتها:

[1] السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص37.

[2] محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص80-81.

[3] شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص59.

1-القرآن: يشكل المصدر الأعلى في الاحتجاج لما يتميز به من فصاحة وبلاغة، إذ كان البصريون يرجعون إليه لإثبات القواعد وضبط الاستعمالات.[1]

2-الشعر الجاهلي والإسلامي: لقد اعتمدوا الشعر الجاهلي أصلا من أصولهم[2]، وكذلك شعر صدر الإسلام، حيث كان يمثل سجلا لغويا حيا لنقاء اللغة وصفائها قبل أن تتأثر بالعجم والدخيل.

3-كلام العرب الفصحاء: لقد أولى البصريون اهتماما خاصا بكلام العرب الفصحاء من البادية، فكانوا يرحلون إلى القبائل المعروفة بسلامة لغتها مثل هذيل وتميم وقيس، لالتقاط ألفاظهم وتراكيبهم الخالية من اللحن.[3]

أما الحديث النبوي الشريف فكانوا يتعاملون معه بحذر نظرا لتداخل اللهجات وتأثر بعض الروايات بعامية الروايات[4]، كما كان المنطق أحد أعمدة منهجهم، إذ لم يكتفوا بالنقل وحده بل عرضوا المادة اللغوية على ميزان التحليل العقلي، ما جعلهم أكثر دقة في ضبط القواعد ورفض الشاذ أو غير المألوف.[5]

[1] ينظر: إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية، أسطورة وواقع، دار الفكر، عمان، ط1، 1987، ص20.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص20.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص21.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص22.

[5] فوزية دندوقة: محاضرات في مادة المدارس النحوية، ص58.

كما أن البصريين كانوا يقيسون على الكثير، ويستنبطون منه القاعدة وما خالفه يخرجونه إلى باب الضرورة الشعرية أو يضيفونه إلى باب الشاذ أو النادر، أو يعمدون إلى التأويل.[1]

ومن حيث التعليل فقد كان جل اهتمامهم منصبا على أقوال الخليل وما نقله عنه سيبويه في الكتاب[2]، وبذلك يتبين أن البصريين اعتمدوا على مصادر دقيقة جمعت بين النقل عن العرب الفصحاء والتحليل العقلي، ما منح دراستهم للنحو تميزا ووضوحا، وأسهم في ضبط قواعد اللغة وصيانتها عبر العصور. ولدقة استنباطهم وشدتهم في القياس فقد ضعّفوا الكثير من الشواهد وذلك لقلتها وندرتها.

المبحث الثالث: المدرسة الكوفية وأهم أعلامها.

توطئة:

المدرسة الكوفية هي إحدى المدارس النحوية التي نشأت في مدينة الكوفة بالعراق خلال العصر العباسي، وقد برزت هذه المدرسة كتيار علمي يعتني بدراسة النحو واللغة العربية، وتميزت بأسلوبها المختلف عن المدرسة البصرية، خاصة في منهجها في الاستدلال وقبول الشواهد اللغوية من الشعر واللهجات، حيث اتسمت بمرونة أوسع في تقبل الروايات

[1] ريم خلف الجعيد: أصول النحو وتاريخه، ص2.

[2] أسعد الدين يوسف: النحو العربي ومدارسه، ص34.

والقياس، وقد ساهم أعلام هذه المدرسة، مثل الكسائي والفراء، في إثراء علم النحو العربي وتطويره، مما جعلها تشكل رافدا مهما من روافد الفكر اللغوي العربي.

المطلب الأول: نشأة المدرسة الكوفية.

شهد المسلمون في أواخر القرن الثاني الهجري تطورا حضاريا كبيرا نمت معه العلوم الإسلامية، ومنها علم النحو الذي نما نموا بارزا ظهر في التدريس والمناظرات العلمية والاهتمام بالتأليف واتخاذ مراكز علمية جديدة كالكوفة، مما نتج عنه نوع من التسابق العلمي الذي أخصب الفكر النحوي.[1]

وحول هذا الشأن يقول السامرائي: "ولقد عرفت الكوفة كما عرفت البصرة فكلاهما مصران قد مصرهما المسلمون، واشتهر كل منهما طوال التاريخ الإسلامي وشغلتا مكانا واضحا في القرنين الثاني والثالث، وكان لكل منهما أثر في السياسة، فقد عرفت الكوفة "بعلويتها" كما عرفت البصرة "بعثمانيتها" وكان أهل المصرين على اتصال فيما بينهم".[2]

كما أن كتب التراجم والطبقات التي أرَّخَت للنحو العربي منذ نشأته تُثبِت وجود هذه المدرسة، وأن لها آراءً ونحاة طوروا هذا النحو وكونوا مذهبا مستقلا بعد المدرسة البصرية.[3]

وكان على رأس هذه المدرسة أبو جعفر الرؤاسي وتلميذاه الكسائي والفراء[1]، ويرجع السبب في تأخر الكوفة عن البصرة في مجال النحو لاشتغال الأخيرة بالفقه ووضع أصوله

[1] فوزية دندوقة: محاضرات في مادة المدارس النحوية، ص59.

[2] إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية أسطورة وواقع، ص31.

[3] ينظر: خديجة الحديثي: المدارس النحوية، دار الأمل، الأردن، ط3، 2001، ص116.

وبالقراءات وروايتها، مما جعلها تحظى بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة وبثلاثة من القراء السبعة وهم حمزة وعاصم والكسائي، بالإضافة إلى عنايتها برواية الأشعار القديمة وصنعة دواوين الشعر.[2]

المطلب الثاني: أهم أعلام المدرسة الكوفية.

برز في المدرسة الكوفية نخبة من العلماء الذين لعبوا دورا بارزا في تأسيس قواعدها ونشر مبادئها، وكان لهم أثر بالغ في مجالات النحو واللغة والقراءات، والتفسير، ومن أبرز هؤلاء الأعلام:

الكسائي: هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، مولى بني أسد، أخذ عن الرؤاسي ودخل الكوفة وهو غلام وأدّب ولد الرشيد[3]، وكان أحد أئمة القراء السبعة[4]، ويعد إمام مدرسة الكوفة، فهو الذي وضع رسومها ووطّأ منهجها، وفيه يقول أبو الطيب اللغوي: "كان عالم أهل الكوفة وإمامهم وإليه ينتهون بعلمهم وعليه يعولون في روايتهم".[5]

الفراء: من علماء الكوفة بعد الكسائي، واسمه أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء، أخذ علمه عن الكسائي وهو عمدته، وكان الفراء متورعا متدينا[6]، وكان يخالف على الكسائي في كثير

---

[1] أحمد أمين: ضحى الإسلام، ص615.

[2] ينظر: شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص153

[3] أبو بكر الزبيدي: طبقات النحويين واللغوين: ص127.

[4] ابن الأنباري: نزهة الألباب في طبقات الأدباء، ص66.

[5] شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص175.

[6] أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص105.

من مذاهبه، فأما على مذاهب سيبويه فإنه يعتمد خلافه، حتى ألقاب الإعراب وتسمية الحروف، ومات الفراء في طريق مكة سنة سبع ومائتين.[1] ويعتبر الفراء هو من عمق الجانب العلمي في المدرسة الكوفية.

ثعلب: من أبرز نحاة الكوفة في أواخر العصر العباسي، واسمه أحمد بن يحيى النحوي بن يزيد، مولى بني شيبان، المعروف بثعلب، فاق من تقدم من الكوفيين، وأهل عصره منهم، وكان قد ناظر أصحاب الفراء وساواهم[2]، وكان يعتمد على ابن الأعرابي في اللغة، وعلى سلمة في النحو، وكان يروي عن ابن نجدة كتب أبي يزيد، وعن الأثرم كتب أبي عبيدة وعن أبي نصر كتب أبيه وكان ثقة[3]، ومن أشهر مؤلفاته: الفصيح في اللغة، ومجالس ثعلب في الأدب، وكانت وفاته ببغداد سنة (291هـ)[4]، ويعتبر ثعلب من جمع بين الرواية والدراية، إضافة إلى ابن السكيت والأحمر، وغيرهم ممن ساهموا في إثراء التراث اللغوي العربي.

المطلب الثالث: مصادر المدرسة الكوفية وأهم خصائصها.

تميزت المدرسة الكوفية بمناهجها الخاصة ومصادرها المتنوعة التي اعتمدت عليها في تقعيد النحو، فالكوفيون اتخذوا من الرواية والنقل عن العرب وسيلة لفهم اللغة، وابتعدوا عن التشدد في القياس الذي اشتهر به البصريون، مما أضفى على مدرستهم طابعا مرنا

[1] أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص106.

[2] أبو بكر الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص141.

[3] أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص116.

[4] محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص121.

وشموليا في معالجة الظواهر اللغوية، وفي هذا السياق سنذكر أهم مصادر الدراسة عند الكوفيين ونستعرض الخصائص البارزة لمدرستهم النحوية.

1-لغات الأعراب: ذكر الرواة عن الكسائي أنه خرج إلى نجد وتهامة والحجاز ورجع وقد أفنى خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ.[1]

2-الشعر العربي: اعتمد الكوفيون على الشعر العربي كمصدر لغوي نحوي، واستشهدوا به كثيرا في إثبات القواعد النحوية، فالشعر هو العنصر المسيطر على دراسات الكوفيين.[2]

3-القراءات القرآنية: للنحو عند الكوفيين صلة بالقراءات القرآنية وما يتصل بها، لأن العلماء الذين أسسوا للنحو بالكوفة كانت لهم اهتمامات بالقرآن قراءة وتفسيرا، فأستاذ الكوفة الكسائي كان إماما من أئمة القراءة المتواترة، كما أن الكوفة ظفرت بثلاثة قراء هم (عاصم، وحمزة، والكسائي).[3]

كما أن الكوفيين استفادوا من كتب وأبحاث النحاة الذين سبقوهم أو عاصروهم، وكانت لهم نقطة انطلاق اعتمدوا عليها في نهجهم.

ولقد تميزت المدرسة الكوفية بالعديد من الخصائص، فمن حيث السماع فقد أخذوا عن البدو وكذلك عن الحضر، ومن حيث القراءات فقد ذهبوا إلى الاستشهاد بالمتواتر والشاذ

[1] ريم خلف الجعيد: أصول النحو وتاريخه، ص33.

[2] فتيحة عباس: مصادر الدراسة بين البصريين والكوفيين، جامعة تلمسان، الجزائر.

[3] ريم خلف الجعيد: أصول النحو وتاريخه، ص34.

أيضا، ومن حيث القياس فقد اعتمدوا على المثال الواحد في القياس ولو خالف قواعدهم وأصولهم، ومن حيث الحديث فقد صرفوا النظر كما فعل البصريون، أما من حيث العامل والمعمول فقد استقلوا عن البصريين وجاؤوا بآراء خاصة بهم.[1]

تعد مصادر الدراسة عند الكوفيين ركنا أساسيا في بناء منهجهم النحوي، حيث جمعت بين النصوص الدينية والشعر واللغة الحية المنقولة عن الأعراب، مما أضفى على مدرستهم مرونة وتنوعا في الاستشهاد، وأسهم في إثراء الدرس النحوي العربي بروح منفتحة على اختلاف الروايات واللغات، وعليه فإن المدرسة الكوفية اتسمت بالعموم والشمول.

[1] أسعد الدين يوسف: النحو العربي ومدارسه، ص34.

الفصل الثاني: العلل النحوية.

- ✓ **المبحث الأول: العلة النحوية**

المطلب الأول: مفهوم العلة لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: كلام العلماء عن العلة

المطلب الثالث: التعليل في النحو

- ✓ **المبحث الثاني: نشأة العلل النحوية**

المطلب الأول: العلة النحوية قبل "سيبويه"

المطلب الثاني: العلة النحوية بعد "سيبويه"

المطلب الثالث: مراحل العلة النحوية

- ✓ **المبحث الثالث: أنواع العلل النحوية**

المطلب الأول: العلل التعليمية

المطلب الثاني: العلل القياسية

المطلب الثالث: العلة الجدلية

المبحث الأول: العلّة النّحويّة.

توطئة:

يعد مبحث العلل النحوية من أهم المباحث في علم النحو العربي، فهو يهتم بالكشف عن الأسباب التي أدت إلى وضع القواعد النحوية وصقلها بالشكل الذي وردت عليه، ولا يخفى على أحد أن النحاة سعوا من خلاله إلى تفسير وتحليل الظواهر اللغوية وإيجاد مبررات منطقية أو قياسية لها، وهذا الصنيع ساهم في بناء ونسخ منهج تحليلي واضح ودقيق في دراسة اللغة العربية بطريقة منطقية، ترتاح إليها النفوس ويأنس بها العقل السليم.

وقد برزت هذه العلل بوضوح في أعمال نحاة البصرة ونحاة الكوفة على حد سواء، فالبصريون اعتمدوا على التعليل العقلي والقياس الصارم، بينما توسع الكوفيون في السماع والاستشهاد باللهجات المختلفة، كما هو موضح في الفصل الأول.

والعلل النحوية تتنوع بين العلل التعليمية التي تهدف إلى تبسيط القواعد وعلل قياسية تستند إلى منطق الاستقراء اللغوي كما تعتمد على القياس والاستنتاج، وهناك أيضا علل جدلية تعتمد على الجدل وكثرة طرح الأسئلة.

وموضوع العلل النحوية يُظهر مدى دقة اللغة العربية في تراكيبها، كما يساعد في فهم أعمق لقواعدها، مما يجعله من المباحث الأساسية في الدراسات اللغوية والنحوية ولا غنى لطالب النحو عن هذا لما فيه من أسرار تجعله يغوص في عمق هذه اللغة الجميلة.

المطلب الأول: مفهوم العلة (لغة واصطلاحا).

لغة: جاءت العلة في المعاجم اللغوية بمعانٍ مختلفة، ففي لسان العرب لابن منظور جاء في مادة "ع ل ل" ما يلي:

العلّ والعلل: الشربة الثانية، وقيل الشرب بعد الشرب تباعا: يقال: عَلَلٌ بعد نهل، وعلّه يعلّه إذا سقاه السُّقْيَةَ الثَّانِيَةَ.[1] فالعلُّ هو المرة الثانية من الشرب.

وجاء في الصحاح "للجوهري" في مادة "ع ل ل"، العلل: الشرب الثاني، والتعليل سقي بعد سقي وجني الثمر مرة بعد أخرى، وعَلّ الضارب المضروب إذا تابع عليه الضرب.[2]

والعلة المرض، علَّ ويَعِلُّ واعتَّل أي مرض، فهو عليل، والعلة: الحدث يشغل صاحبه عن حاجته كأن تلك العلة صارت شغلا ثانيا منعه عن شغله الأول، وفي حديث عامر بن ثابت: "ما علتي وأنا جلد نابل؟"، أي ما عذري في ترك الجهاد ومعي أهبة القتال، فوضع العلة موضع العذر.[3]

وفي تعريفها اللغوي أيضا قال الجرجاني بأنها: "عبارة عن معنى يحل بالمحل بلا اختيار، ومنه يسمى المرض علة لأنه بحلوله يتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف،

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، د ت، ج11، ص467.

[2] الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990، ج5، ص1773.

[3] ابن منظور: لسان العرب، ص471.

وقيل: هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجا مؤثرا فيه".[1] فالعَلُّ له ثلاث معانٍ: المرة الثانية من الشرب، والمرض، وسبب حصول الشيء.

اصطلاحا: لقد تنوعت تعبيرات النحويين القدماء منهم والمحدثون في تعريف العلة، فقد عرفها الرُمّاني بقوله: "تغيير المعلول عما كان عليه"[2]، فلا بد للحكم النحوي من علة تدعو إليه وسبب يبيح في ضوئه للقائل به الالتجاء إليه، لذا كانت العلة وثيقة الصلة بالنحو.[3]

وذهب المبارك في تعريفه للعلة بأنها: "الوصف الذي يكون مظنة وجه الحكمة في اتخاذ الحكم"، ويرى "محمد خير الحلواني" أن العلة النحوية يراد بها تفسير الظاهرة اللغوية والنفوذ إلى ما وراءها وشرح الأسباب التي جعلتها على ما هي عليه.[4]

ويقول حسن هنداوي في كتابه "مناهج الصرفيين ومذاهبهم": "أنه لم يقف على تعريف للعلة عن النحاة، والذي يستنبط من حديثهم في العلل: "أن العلة وصف جامع بين المقيس والمقيس عليه، وهو الذي أعطى المقيس حكم المقيس عليه".[5] وعليه فالعلة هي الجامع بين

---

[1] قفي نور الدين: العلة النحوية بين النظرية والتطبيق، قراءة في فكر أبي الفتح بن جني، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، ع9، 2014، جامعة الجلفة، الجزائر، ص8.

[2] أمال جلال: التعليل مظهر من مظاهر الإبداع في العربية (العلة النحوية عند ابن جني أنموذجا)، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر، ص999.

[3] أمين لقمان الحبار، تشهير عبد الغني محمد صالح: التعليل النحوي عند عبد القاهر الجرجاني في كتاب المقتصد في شرح الإيضاح (مجلة سر من رأى، ع32، 2013)، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، ص92.

[4] عبد العزيز علي مطلك الدليمي: الدراسات النحوية واللغوية في البحر المحيط، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1992، ص103.

[5] حسن هنداوي: مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، دار القلم، دمشق، ط1، 1989، ص341.

الأصل والفرع، وهي الركن الثالث من أركان القياس وهي علة محكمة مبنية على أسس متينة.[1] فالعلة هي الأمر الجامع بين رُكْنَي القياس.

المطلب الثاني: كلام العلماء عن العلة:

تعد العلة من أبرز المفاهيم التي شغلت النحاة العرب القدامى إذ لم تكن مجرد وسيلة لتفسير الظواهر اللغوية، بل كانت مدخلا لفهم النظام النحوي العربي بوصفه نظاما قائما على المنطق والقياس، وقد تعددت آراء العلماء عن العلة ووظيفتها واختلفت المقاربات التي تبنوها في توظيفها داخل المنظومة النحوية.

فقد اعتبر "ابن جني" العلة مظهرا من مظاهر التفكير العقلي لدى النحاة، حيث قال في كتابه "الخصائص" إن العلل النحوية "أقيسة مستنبطة وعلل مقدرة"، مما يدل على أن العلة ليست مجرد تبرير ظاهري، بل هي أداة توظف لتفسير القواعد النحوية وتوحيدها.[2]

أما السيرافي "فقد نظر إلى العلة من زاوية تعليمية ومنهجية، إذ يرى أن فهم النحو لا يمكن أن يتحقق دون الوقوف على علله، مؤكدا أن النحو "صناعة قائمة على التحليل"، وهو ما يجعل من العلة ضرورة لفهم القاعدة واستيعابها.[3]

[1] زيدان أسماء: أصول النحو، قسم اللغة العربية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، ص9.

[2] ينظر: ابن جني: الخصائص، ج1، ص66.

[3] ينظر: السيرافي: شرح كتاب سيبويه، تح: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1986، ج1.

في حين ركز الزجاجي على الجانب التفسيري للعلة، معتبرا إياها "أصول القياس النحوي"، فهي عنده المفتاح الذي يفسر الظواهر اللغوية ويظهر انتظامها داخل نسق لغوي متماسك.[1]

أما ابن مضاء القرطبي، فقد كان من أشد من انتقدوا العلل النحوية في كتابه "الرد على النحاة"، ورأى أن كثرة التعليل أفسدت النحو، دعا إلى الاقتصار على السماع والابتعاد عن التقديرات الزائدة.[2]

وعليه فالعلة النحوية تتجلى أهميتها في بعدها المنهجي والتربوي والعلمي، كونها تؤسس لفهم عميق لبنية اللغة العربية، وتكشف الطابع الاستدلالي الذي ميز المدرسة النحوية.

المطلب الثالث: التعليل في النحو.

التعليل في النحو هو بيان السبب أو العلة التي دفعت النحويين إلى وضع قاعدة معينة، أو تفسير ظاهرة لغوية ما، ويعد من الجوانب المهمة في الدراسات النحوية، إذ يظهر البعد العقلي والتفسيري الذي تبناه النحاة العرب في تعاملهم مع اللغة.

ذكر اللكَفوِيُّ بأن "التعليل هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه، والتعليل تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر".[1]

[1] ينظر: الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1979.

[2] ينظر: ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، تح: شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1947.

ويذكر الزجاجي في كتابه "الإيضاح" بأن علل النحو ليست موجبة، وإنما هي مستنبطة أوضاعا ومقاييس، وليست كالعلل الموجبة للأشياء المعلولة بها وليس هذا من تلك الطريق.[2]

يقول الأستاذ "حسن خميس سعيد الملخ": "بأن التعليل النحوي عبارة عن تفسير اقتراني يبين علة الإعراب أو البناء على الإطلاق وعلى الخصوص وفق أصوله العامة". فهو نشاط ذهني للإنسان يصل به إلى تفسير الأحكام اللغوية وغيرها، ويتمثل في البحث عن الأسباب التي تكمن وراء الظواهر اللغوية والأحكام النحوية.[3]

وتكمن فائدة العلة في العلم بأن الحكم في غاية الوثاقة[4]، وغرض التعليل هو أن يظهر خضوع الظاهرات لقواعد العلم وأحكامه[5]، والعلة هي السبب الذي يوجب الحكم للفظ ما، فيندرج ضمن شبيهه لتحصيل القاعدة.[6]

فالتعليل في النحو وسيلة لفهم القواعد وتفسير الظواهر اللغوية، إذ يظهر الحكمة من وراء الأحكام النحوية ويعين على تثبيتها في الذهن.

---

[1] أمال جلال: التعليل مظهر من مظاهر الإبداع في العربية، ص999.

[2] الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص64.

[3] أمين لقمان الحبار، شهير عبد الغني صالح: التعليل النحوي عند عبد القاهر الجرجاني، ص92.

[4] عبد العزيز علي مطلك الدليمي: الدراسات النحوية واللغة في البحر المحيط، ص103.

[5] مازن المبارك: النحو العربي (العلة النحوية: نشأتها وتطورها)، المكتبة الحديثة، ط1، 1965، ص51.

[6] محمد خان: أصول النحو العربي، مطبعة جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012، ص100.

المبحث الثاني: نشأة العلل النحوية.

توطئة: يعتبر تاريخ العلل النحوية ملازما لتاريخ النحو والتأليف فيه، ويعتبر تطور النحو مرتبطا بتطورها، وقد كانت العلة النحوية في تطورها تابعة لعلوم ذات طبيعة غير طبيعية النحو، كالفقه والفلسفة والكلام.[1]

فمنشأ العلل وسببه كان لتثبيت قواعد اللغة العربية، لأن ثبوت الحكم بالدليل أدعى إلى الأخذ به.[2]

وموضوع العلل النحوية من أبرز الموضوعات اتصالا بالأصول المنهجية للدرس النحوي، وفيه تبرز خصائص التفكير النحوي وتتجلى قدرات النحويين وأساليبهم في بحث الظواهر النحوية وتحليلها.[3]

لقد كثُرَت التساؤلات عن منشأ العلل النحوية، وهل هي من وضع النحاة أم أنها كانت قائمة في أذهان العرب عند نطقهم اللغة، وأن النحاة استنبطوها من كلامهم وأخرجوها من حيز الوجود؟

---

[1] مازن المبارك: النحو العربي (العلة النحوية: نشأتها وتطورها)، ص5-6.

[2] أمال جلال: التعليل مظهر من مظاهر الإبداع في العربية، ص1000.

[3] أدهم محمد علي حموية: منزلة التعليل النحوي من التعليل الأصولي، (مجلة البعث للعلوم الإنسانية، ع5، 2016)، جامعة البعث، سوريا، حمص، ص13.

وجاءت الإجابة عن هذه التساؤلات على لسان الخليل بن أحمد، وكذا ابن جني بعده، وكانت خلاصة رأيهما أن هذه العلل كانت قائمة في أذهان العرب عند وضعهم اللغة، كما تدل على عبقرية النحاة وإبداعهم في استنباط هذه العلل.[1]

والبحث في العلة يأتي بعد أن تجمع اللغة، وتستنبط المقاييس وتستقر الأصول، وتعرف القوانين الكلية لأن الإنسان قد فطر على الغوص وراء المسببات للأشياء ومعرفة الدوافع لكل ما يحدث.[2]

ومن هنا كانت نشأة التعليل في العربية نشأة فطرية مستمدة من روح العربية، ثم نمت فأصبحت ظاهرة عقلية استجابت لظروف وبواعث عربية وإسلامية من غير تأثير خارجي.[3]

المطلب الأول: العلة النحوية قبل سيبويه:

العلة النحوية هي مبحث من مباحث على النحو تهدف إلى تفسير الأسباب التي أدت إلى وقوع الظواهر اللغوية على نحو معين.

لكن علل النحو لم تكن واضحة في بادئ الأمر كما اتضحت فيما بعد، ولكنها كانت تفهم من سياق الكلام وتلتمس من نمط الحديث.[4]

[1] أمال جلال: التعليل مظهر من مظاهر الإبداع في العربية، ص1001.

[2] حسن هنداوي: مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، ص339.

[3] أمين لقمان الحبار، تشهير عبد الغني محمد صالح: التعليل النحوي عند عبد القاهر الجرجاني، ص92.

[4] رقيق كمال: العلة في النحو العربي (المفهوم والمصطلح – نماذج من كتاب سيبويه)، جامعة بشار، ص105.

ويعتبر "عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي" من رواد النحو الأوائل الذين روى عنهم سيبويه، فقد كان عارفا بالقياس والتعليل وكان اسمه مقرونا بالنحو وقياسه وعلله.[1]

بالإضافة إلى "يونس بن حبيب" الذي كان له مذاهب وأقيسة تفرد بها، وكان من ضمن الذين روى عنهم من يسأل عن العلة "كأبي عمرو بن العلاء"، وكان في طليعة هؤلاء المتقدمين جميعا "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، الذي بلغ الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله.[2]

فهؤلاء النحاة لم يعرف عنهم تعليل الظواهر النحوية تعليلا فلسفيا أو منطقيا كما فعل سيبويه ومن بعده، لكنهم وضعوا اللبنات الأولى، لأن اللغة كانت تدرس وتضبط شفهيا عبر الرواية والسماع، خاصة في بيئات البدو، وكان النحو في بداياته يعتمد على جمع الشواهد من كلام العرب، وتعليم قواعد عامة استقرائية، ويمتار التعليل عند هؤلاء بعدة سمات هي:

. استخدم بعض النحاة الأوائل نوعا بدائيا من التعليل، لكن لم يكن ممنهجا.

. لم تكن العلة النحوية لديهم على النحو الذي عرف فيما بعد، من تفسير القواعد بناء على القياس والعلل العقلية أو الصرفية.

[1] مازن المبارك: النحو العربي (العلة النحوية: نشأتها وتطورها)، ص53.

[2] المرجع نفسه، ص53-54.

. مثلا: قد يقال إنهم عللوا بعض الظواهر بالتخفيف أو الاستثقال، لكن ذلك كان نادرا وغير ممنهج.[1]

لقد وجدت بدايات بسيطة لفكرة العلة النحوية قبل سيبويه، لكنها لم تكن منهجية أو واضحة، فسيبويه هو أول من نظمها ضمن إطار علمي دقيق وجعل العلة جزءا أساسيا من بناء القواعد.

المطلب الثاني: العلة النحوية بعد "سيبويه":

بعد سيبويه شهدت العلة النحوية تطورا كبيرا سواء من حيث المفهوم أو المنهج، وأصبحت من الركائز الأساسية في تفسير الظواهر اللغوية، بل تطورت لتتفرع إلى أنواع متعددة، وتصبح محل جدل بين المدارس النحوية المختلفة.

وكان التعليل في هذه الفترة يحاول بيان أصالة العربية والكشف عما فيها من نواحي الجمال والقوة.[2]

كما أن العلة في هذه المرحلة لم تعد مجرد مبرر شكلي أو استعمالي، بل أصبحت وسيلة لتفسير (لماذا جاءت القاعدة اللغوية على هذا الشكل؟)، كما أصبحت العلة أيضا أداة للقياس العقلي والمنطقي، وأحيانا تدخل في التأويل الفلسفي والبلاغي.

[1] ينظر: رقيق كمال، العلة في النحو العربي، ص107.

[2] أمال جلال: التعليل مظهر من مظاهر الإبداع في العربية، ص1010.

لقد ظهرت طائفة من اللغويين اهتمت بالعلل النحوية وأفردت لها مؤلفات خاصة، كما هو الحال عند قطرب والمبرد[1]، بالإضافة إلى أعلام بارزين من أمثال الزجاجي، والفارسي، وابن جني الذين كانوا من أعلام ونحاة المدرسة البصرية الذين استخدموا العلة لتفسير قواعد النحو على أسس عقلية مثل (التخفيف، والاستثقال، والمشابهة، والمناسبة والقياس)، فابن جني في كتابه "الخصائص"، نقل العلة من مستوى فلسفي عميق، فتكلم عن "علل العلل" وربط بين الصوت والمعنى، وهكذا كانت العناية بأمر العلة والاهتمام بها يزداد كلما تقدم الزمن بالنحويين.[2]

أما في العصور المتأخرة، بدأ بعض العلماء ينتقدون كثرة التعليل مثل ابن مضاء القرطبي في كتابه: "الرد على النحاة"، حيث رفض العلل النحوية، وعدها تعقيدا لا حاجة له، وطالب بالاعتماد على الوصف لا التفسير العقلي.

المطلب الثالث: مراحل العلة النحوية.

منذ نشأة علم النحو في القرن الأول الهجري، سعى النحاة إلى تفسير الظواهر اللغوية في العربية، لا سيما ما يتعلق بالإعراب وتغير أواخر الكلمات، وقد ظهرت العلة النحوية كوسيلة لفهم هذه الظواهر وتبرير القواعد التي تحكمها، ولم تكن العلة في بداياتها بنفس النمط الذي عرف لاحقا، بل مرت بمراحل تدريجية يمكن إجمالها فيما يأتي:

[1] عبد الله راجحي محمد غانم، رشيد محمد حسن الرهوي: العلة النحوية عند الشريف الكوفي في كتابه (البيان في شرح اللمع)، مجلة تهامة، ع10، ص408.

[2] مازن المبارك: النحو العربي (العلة النحوية: نشأتها وتطورها)، ص320.

المرحلة الأولى: هي المرحلة التي ظهرت مع بدايات نشأة النحو العربي وتقعيده[1]، وانتهت بعصر لخليل بن أحمد الفراهيدي، إذ تروي كتب النحو والطبقات على أن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي هو الذي مد العلل وشرحها وهذا مما يدل على أن العلل كانت معروفة في عصر ابن أبي إسحاق، غير أن الحديث عنها كان قليلا لا يشكل تيارا قويا، ولا ظاهرة تلفت النظر وتسترعي الانتباه، سوى ما روي عن ابن أبي إسحاق الذي أكثر من الخوض فيها وتتبعها وأفاض في استقصائها، فتميز بذلك عن بقية معاصريه ممن تكلموا في العلل.[2]فالعلل النحوية مثلها مثل علم النحو الذي كان موجودا قبل اكتشافه، فجاء الإسلام فجدده، واقتضت حكمة الله أن يظهره للوجود لخدمة كتابه الكريم، وكذلك العلة النحوية كانت موجودة ومتأصلة في لسان العرب، والتي تعتبر أحد أسرار كلامهم، فجاء من أظهرها للعيان وجعل لها قواعد وميزان، حتى لا يتم العبث والتلاعب بهذه اللغة العظيمة التي نزل بها القرآن، ولو ترك الحبل على الغارب في هذه القضية لقال كل من شاء ما شاء، و لأدخلوا من البلايا والشبهات التي تمس العقيدة وتضرب الأصول الأولى للدين والإسلام.

وفي هذه المرحلة تناول النحاة قضايا جزئية ولا ينظرون إلى غير الجزئية التي يسوغونها، كما وجهوا جل عنايتهم ومعظم جهودهم ناحية التقعيد للظواهر اللغوية، أما التعليل فلم يقصدوا إليه ومن ثم لم يتوسعوا فيه، فجاء التعليل بمثابة تفسير للقواعد

[1] عبد الله راجحي محمد غانم، رشيد محمد حسن الرهوي: العلة النحوية عند الشريف الكوفي في كتابه (البيان في شرح اللمع)، ص408.

[2] حسن هنداوي: مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، ص344-345.

النحوية،[1]فالنحاة الأوائل كان نظرهم للعلل النحوية من أجل ضبط اللغة، ووضع القواعد لذلك على حسب ما تكلمت به العرب لعدم الوقوع في اللحن والخطأ.

فتعليلات الخليل كانت تتصف جميعا بكونها بعيدة عن الفلسفة قريبة من روح اللغة وحسها الذي ينفر من القبح، فلذلك نفر من "أيهم زيدا ضرب" ، والذي يؤثر الخفة حتى أجاز هربا من ثقل التنوين أن يقال: "هو كائن أخيك".[2]

إن الخليل بن أحمد الفراهيدي أكثر من استنباط علل النحو ما لم يستنبطه أحد ولم يسبقه إلى مثله سابقا، ووصفه الأنباري بأنه الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله.[3]

لقد كان النحاة في هذه المرحلة يتميزون بذكاء حاد وعبقرية لا مثيل لها، مما جعلهم يتميزون باستنباط علل من كلام العرب من بنيات أفكارهم، لا يشاركهم فيها أحد من غيرهم، ويظهر ذلك جليا في جواب الخليل بن أحمد الفراهيدي، عندما سئل عما يتعلل به في النحو، أ عن العرب أخذها أم اخترعها من نفسه؟[4]

[1] أمال جلال: التعليل مظهر من مظاهر الإبداع في العربية، ص1009.

[2] مازن المبارك: النحو العربي (العلة النحوية: نشأتها وتطورها)، ص57-58.

[3] سليم قزعوط: التعليل النحوي من أصالة النشأة إلى تأثره بالعلوم، (مجلة التعليمية، ع4، 2019)، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، ص158.

[4] ينظر: الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص65-66.

فالعلل كانت قائمة في أذهان العرب، وهذا ما يفيد قول سيبويه: "وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها". وهذا أيضا ما قصده ابن جني حيث قال: "باب في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها، وحملناه عليها".[1]

المرحلة الثانية: وهي مرحلة النشأة والنمو ذات الطابع البصري والكوفي، من عهد الخليل وأبي جعفر الرؤاسي إلى ما قبل عهد المازني وابن السكيت،[2]ويعتبر كتاب سيبويه هو الذي يمثل هذه المرحلة من سير العلة النحوية في تاريخ نشأتها الطويل، ولا يخفى على أحد أن كتاب سيبويه مليء بالعلل النحوية، كيف لا، وهو أحد أبرز تلاميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي.

يقول مازن المبارك: "إذا تأملنا هذه التعليلات وغيرها مما امتلأ به كتاب سيبويه وجدناها شبيهة بعلل الخليل والذين روى عنهم سيبويه من حيث عنايتها بالمعنى واهتمامها بقياس الشبيه بشبيهه وحمل النظير على نظيره، واعتمادها ذوق العرب في طلبه للخفة وفراره من القبح والثقل"،[3]فسيبويه هو أول من نظم النحو في كتابه "الكتاب" في إطار نظري متكامل، واستخدم العلة بأسلوب منهجي، حيث علل كثيرا من الظواهر مثل تقديم الفاعل وتأخير المفعول، حذف الحركات، اختلاف الإعراب، وغيرها، والعلة عند سيبويه كانت تعتمد على: القياس والسماع، والاستعمال وعوامل عقلية ومنطقية.

---

[1] أمال جلال: التعليل مظهر من مظاهر الإبداع في العربية، ص1002.

[2] عبد الله راجحي محمد غانم، رشيد محمد حسن الرهوي: العلة النحوية عند الشريف الكوفي في كتابه (البيان في شرح اللمع)، ص408.

[3] مازن المبارك: النحو العربي (العلة النحوية نشأتها وتطورها)، ص63.

ولذا تعتبر العلة أهم أركان القياس وأوسع مجالات الكلام فيه، وإذا لم يدرك العقل علة الحكم الأصل امتنع القياس لانعدام أهم ركن من أركانه.[1]

ولقد كان لسيبويه مهارة عالية في تطبيق هذا الدليل المهم في النحو وفي حركة التعليل، وإذا كان لسيبويه فضل في التعليل فهو فضل في التوسع والإكثار مما كان نزرا قليلا عند شيوخه المتقدمين.[2]

كما كان التعليل في هذه المرحلة أحد المجالات المهمة التي كشف فيها النحويون عما في فكرهم ووجدانهم من اتسام اللغة بالحكمة.[3]

المرحلة الثالثة: ظهرت هذه المرحلة مع بدايات ظهور طائفة من اللغويين اهتمت بالعلل النحوية وأفردت لها مؤلفات خاصة، كما هو الحال عند قطرب والمازني والمبرد الذي عُدَّ رائد هذه المرحلة، ويبدو أن ظهور المنحى الجديد في التعليل كان من بوادر استفادت من الفلسفة الكلامية وعلم الجدل.[4]

وقد حدث تغيير كبير لمنهج التعليل في هذه المرحلة كما حدث تغيير في وظيفته وعليه يقول الدكتور أبو المكارم: "فقد كان من الطبيعي أن ينتقل التعليل إلى مرحلة جديدة لا تصبح وظيفته فيها تبرير ما يوجد فحسب، وإنما تمتد لتشمل أيضا إيجاد ما ينبغي أن يتسق

[1] على حسب الله: أصول التشريع الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط5، 1976، ص143.

[2] مازن المبارك: النحو العربي (العلة النحوية: نشأتها وتطورها)، ص63-64.

[3] أمال جلال: التعليل مظهر من مظاهر الإبداع في العربية، ص1010.

[4] عبد الله راجحي محمد غانم، رشيد محمد حسن الرهوي: العلة النحوية عند الشريف الكوفي في كتابه البيان في شرح اللمع، ص408.

مع العلل، وهكذا لا يظل كما كان مقيدا باللغة وظواهرها وملتزما بالنحو وقواعده، وإنما ينطلق من أسر هذه القيود فيتصور ما يشاء من ظواهر، ثم يُبقي عليها ما يريد من قواعد، وبهذا تنقلب العلاقة بين التعليل والتقعيد".[1]

وفي هذه المرحلة أفردت للعلة كتب خاصة بها فألف تلميذ سيبويه (محمد بن المستنير المشهور بقطرب) كتاب "العلل في النحو" وألف بكر بن محمد المازني كتاب "علل النحو"[2]، وتوالت الكتب والتأليفات في هذا المجال وظهرت العديد من الكتب بعد هذين الكتابين المهمين، فكان كتاب "علل النحو" لابن كيسان، و"الإيضاح في علل النحو" للزجاجي، و"علل النحو" لابن الرواق، واللباب في علل البناء والإعراب للعكبري.[3]

واستمر البحث في العلل على هذه الصورة وازداد دورانها في كلام النحاة حتى أصبحت البراعة وجودة النظر فيها صفة يتميز بها أصحابها من سائر النحويين وأصبحت العلل موضوعا للبحث والمناقشة، وهكذا لم يبلغ القرن الثالث نهايته حتى كانت علل النحو موضوعا ذا قيمة ترمقه أنظار النحاة ويكتبون فيه ويتخذون منه وسيلة امتحان واختبار.[4]

المرحلة الرابعة: وهي المرحلة التي تبدأ من القرن الثالث الهجري التي شهدت نضجا علميا وفكريا، إذ سعى اللغويون إلى تقرير قواعد اللغة التي توصل إليها السابقون وإظهار قوتها

[1] أمال جلال: التعليل مظهر من مظاهر الإبداع في العربية، ص1011.

[2] مازن المبارك: النحو العربي (العلة النحوية: نشأتها وتطورها)، ص69.

[3] محمد خان: أصول النحو العربي، ص100.

[4] مازن المبارك: النحو العربي (العلة النحوية: نشأتها وتطورها)، ص70-71.

وأصولها ومدى موافقتها ظواهر اللغة، لذا فقد شهدت هذه المرحلة ظهور اتجاه جديد للتعليل يصب اهتمامه في البحث عن علل النحو ودقائقه وتوجيه مذاهب العرب في كلامهم، حتى أصبح البحث في العلة له مغزى يتعدى البحث في قواعد النحو وأصوله، كما كان هذا الاتجاه يسعى إلى صياغة جديدة ومنهج خاص في العلل النحوية، من أجل جعل قواعد النحو أكثر منطقية فيقترب فهمها ويسهل الوقوف عليها.[1]

ويعتبر القرن الرابع الهجري هو المرحلة التي تمثل قمة النضج في النحو العربي في مختلف موضوعاته لا سيما العلة النحوية، وظهر فيها أعلام بارزون كأبي علي الفارسي والرُّمَّانِي وابن جني.[2]

كما كانت العلة النحوية في هذه المرحلة وما بعدها منطبعة بكثير من خصائص علم المنطق والفقه والكلام وصلتها بالنحو العربي، والنحو منذ سُطِّرَ عبارة عن منطق، لأنه قام على الاستقراء والتحليل والتركيب ثم ضم الشبيه إلى شبيهه بالقياس.[3]

والقياس أحد الأصول والأنظار العلمية التي بنى عليها النحاة نظرية النحو العربي ويعتبر أهم مرتكزاته الفكرية.[4]

---

[1] عبد الله راجحي، محمد غانم، رشيد محمد حسن الرهوي: العلة النحوية عند الشريف الكوفي في كتابه البيان في شرح اللمع، ص40.

[2] دفع الله حمد الله حسين محمد، عبد الباري محمد عمر: العلل النحوية عند ابن الوراق، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ع41، 2018، ص10.

[3] مازن المبارك: النحو العربي (العلة النحوية: نشأتها وتطورها)، ص74.

[4] امحمد بابا: حدود النظرية وعلاقتها بنظرية العامل، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، ص193.

والعلة هي أحد أركان القياس المهمة، وظاهرة التعليل قديمة نشأت مبكرا وتنامت شيئا فشيئا حتى أصبحت ميدانا رحبا تصنف فيه المؤلفات وتفرد له الكتب،[1]وعليه فالعلة النحوية لم تكن مفهوما ثابتا، بل تطورت بحسب تطور التفكير النحوي نفسه، بدأت بوصف الظواهر، ثم تفسيرها، ثم تبريرها عقلا، وصولا إلى ربطها بالفلسفة والمنطق، وقد ساهم هذا التطور في بناء صرح النحو العربي وجعله علما قائما على قواعد وأصول عقلية مبنية.

المبحث الثالث: أنواع العلل النحوية.

العلة النحوية تمثل تفسيرا عقليا أو لغويا لظاهرة نحوية معينة، وقد اعتنى النحاة بتقسيم العلل إلى أنواع متعددة بحسب طبيعة تفسيرها وأثرها في بناء القواعد، فالعلة ليست شيئا واحدا بل تتنوع بحسب الغرض منها والمجال الذي تعمل فيه.

المطلب الأول: العلل التعليمية.

[1] صلاح بن عبد الله بوجليع: آراء ابن درستويه النحوية والتصريفية، رسالة ماجستير، قسم النحو والصرف وفقه اللغة، كلية اللغة العربية في الرياض، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ص430.

وهي التي عرفها الزجاجي بقوله: "فأما التعليمية فهي التي يتوصل بها إلى تعلم كلام العرب، لأن لم نسمع نحن ولا غيرنا كل كلامها منها لفظا، وإنما سمعنا بعضا فقسنا عليه نظيره".[1]

ويعتبر الزجاجي من النحاة الذين توسعوا في علل النحو وأكملوا ما بدأ به ابن أبي إسحاق الحضرمي، فعلل النحو ليست بالأمر الهين السهل، فلقد أخذت من تفكير النحاة وتآليفهم الحيز الضخم.[2]

ويقول السيوطي في كتابه "الاقتراح" بأن "علل النحو على ثلاثة أضرب، وذكر منها العلل التعليمية والتي تتناسب مع بدايات النحو الأولى"،[3]فالعلل التعليمية هي ما يحتاج إليه قياس التعميم وهي وسائل لضبط كلام العرب وهي ضرورية لكل متعلم للنحو.

والعلة التعليمية ملمح من ملامح الشبه الذي يقرب بين شيئين فيجعلهما تحت حكم واحد وبذلك تستمر اللغة وتتجدد وفق نظامها الأصيل، فيتصل اللاحق بالسابق من دون عناء.[4]

وتعتبر العلل التعليمية مما سلم به ابن مضاء القرطبي لأن فيها تسهيل وتيسير للنحو وطالب بإلغاء كل ما فيه صعوبة وتعقيد للنحو، كالعلل الثواني والثوالث كما أسماها، ووضع

---

[1] ينظر: الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص64.

[2] عبد الرحمن السيد: مدرسة البصرية (نشأتها وتطورها)، دار المعارف، مصر، ط1، د ت، ص267.

[3] ينظر: جلال الدين السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، تح: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2006، ص304.

[4] محمد خان: أصول النحو العربي، ص101.

قاعدة بسيطة تجيب عن سؤال السائل عن حكم رفع الفاعل مثلا، بأن العرب هكذا نطقت، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر.[1]

ويرى ابن مضاء القرطبي أن الفرق بين العلل الأول والعلل الثواني هو "أن العلل الأول بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب المدرك منا بالنظر، والعلل الثواني هي المستغنى فيها في ذلك، ولا تفيدنا إلا أن العرب أمة حكيمة".[2]

لقد كان القصد بالعلل الأول أو التعليمية عند النحاة وصف الظواهر اللغوية، فهي مبنية على استقراء الواقع اللغوي، وملاحظة تكرار الظواهر بصورة ثابتة مما يُمَكِّنُ من استنتاج قاعدة تحكم الظواهر المتماثلة، فتكسبنا التكلم كما تكلمت العرب، وسبب وجودها هو التقعيد للغة العربية، حتى يستطيع المتكلم محاكاتها.[3]

فالعلل التعليمية هي العلل الأول وهي العلل الحسية أو علل التنظير، وهي الأجوبة الأولى التي تدلي بالقياس على كلام العرب.[4]

وعليه ذكر الزجاجي في إيضاحه أن علل النحو تختلف عن العلل الفلسفية، فعلل النحو غير موجبة للمعلول، فالعربي تكلم على سجيته دون دراية بعلة رفع الفاعل أو نصب المفعول، لكنه رفع الأول ونصب الثاني وفق منظومة عرفية، سار عليها اللسان العربي

[1] ينظر: حسن هنداوي: مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، ص342.

[2] المرجع نفسه: ص343.

[3] أمال جلال: التعليل من مظاهر الإبداع في العربية، ص1004.

[4] الجيلي عبد العال إدريس عمر: العلل النحوية بين القدماء والمحدثين وأثرها في تجديد النحو وتيسيره، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، ص199.

وقتذاك، وعندما أراد المتقدمون وضع القواعد، فسروا هذه الظواهر لقصد تعليمي، غايته صيانة هذه اللغة الجميلة.[1]

المطلب الثاني: العلل القياسية.

وتأتي في القسم الثاني من تقسيمات الزجاجي وعنها يقول: "فأما العلة القياسية، فأن يقال لمن قال نصبت زيدا بإن في قوله إن زيدا قائم: ولم وجب أن تنصب "إن" الاسم؟ فالجواب في ذلك أن يقول لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى المفعول فحملت عليه فأعملت إعماله لما ضارعته، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول لفظا والمرفوع بها مشبه بالفاعل لفظا، فهي تشبه من الأفعال ما قدم مفعوله على فاعله، نحو ضرب أخاك محمد وما أشبه ذلك"،[2]وعن هذه العلة يقول شوقي ضيف أنها جديدة عند الزجاجي لأن النحاة جروا على حمل "إن" على "كان".

[1] عبد الله محمد حياني: الموازنة بين كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي وكتاب العلل في النحو للوراق، (مجلة الجامعة الإسلامية، ع183)، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، ص572.

[2] الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص64.

والعلة القياسية هي التي يتوصل بها إلى إثبات أصل الحكم بالاعتماد، أو بافتراض شبه بين المقيس والمقيس عليه، وسماها بعضهم بقياس الشبه أو قياس العلة.[1]

وتعرف العلل القياسية أيضا بأنها العلل الثواني التي تأتي بعد العلل الأول، وهي العلل الفرضية، أو العلل الحكمية أو علة العلة التي هي الأجوبة الثانية في أحكام الإعراب والبناء مثل: نزل المطر، لماذا ارتفع المطر؟ الجواب الأول لأنه فاعل (علة تعليمية)، ولماذا ارتفاع الفاعل؟ الجواب الثاني: للإسناد = العلة الثانية = العلة القياسية، وعليه فالإسناد يعتبر (علة ثانية قياسية).[2]

وهذا النوع من العلل هو الذي يبين حكمة العرب في النطق بالظواهر اللغوية المختلفة، وسماه ابن السراج علة العلة،[3]وعليه فالعلة القياسية تجاوزت مرحلة ضبط اللغة في قواعدها إلى درجة أعلى منها تثبت فيها دقة وحكمة اللغة العربية وفضلها على سائر اللغات.

ولم يرتضي ابن جني تسمية العلة القياسية أو العلة الثانية بعلة العلة، حيث قال: "وهذا موضع ينبغي أن تعلم منه أن هذا الذي سماه علة العلة إنما هو تجوز في اللفظ، فأما في الحقيقة فإنه شرح وتفسير وتتميم للعلة".[4]

[1] محمد خان: أصول النحو العربي، ص102.

[2] الجيلي عبد العال إدريس عمر: العلل النحوية بين القدماء والمحدثين، ص199.

[3] أمال جلال: التعليل مظهر من مظاهر الإبداع في العربية، ص1004.

[4] المرجع نفسه، ص1005.

والعلة القياسية تعتمد على السماع مثلما تعتمد عليه العلل التعليمية، وهذا ما عبر عنه الفارسي بقوله: "لأن هذه العلل إنما تستخرج من المسموعات بعد إيرادها في الاستعمال لتوصل إلى النطق به على حسب ما نطق به أهل اللغة العربية، وتُسَوِّي في الفصاحة بمن أدركها، ويأمن بتمسكه بها الزيغ عن لغة الفصحاء المعربين".[1]

ويضيف تمام حسان بأن العلل الأول والعلل الثواني تكشف عن نظرة تعليمية لأن العلل الأول تفيد حكما نحويا، يقول: زيد مرفوع لأنه فاعل، والثانية علة تركيبية، تقول إن الاختلافات في الحركة بين الفاعل والمفعول إنما جاء للفرق بينهما، وهذا شبيه بقولنا: ليؤمن اللبس، وهذا شبيه أيضا بما يرد في المصطلح الحديث من الكلام عن "القيم الخلافية".[2]

المطلب الثالث: العلة الجدلية.

هي كل علة يكثر حولها السؤال والجدل، ويقول عنها الزجاجي: "هي كل ما يعتل به في باب "إن" بعد هذا، مثل أن يقال: فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال؟ وبأي الأفعال شبهتموها؟ أ بالماضية أم المستقبلية؟ أ بالحادثة في الحال أم المتراخية أم المنقضية بلا مهلة؟ فيقال فيها ثلاثة أحرف أم أربعة، والأفعال كذلك، وهذه خطوة ثالثة حول البحث

[1] المرجع نفسه، ص1005.

[2] تمام حسان: الأصول، عالم الكتب، القاهرة، د ط، 2000، ص170.

في الأسباب وهو توغل شديد في البحث النحوي"،[1] وكل شيء اعتل به المسؤول جوابا عن هذه المسائل، فهو داخل في الجدل والنظر. [2]

والعلل الجدلية هي علل ثوالث تأتي وراء العلل الثواني، وهي العلل النظرية أو العلل الخيالية، أو علة العلة، وهي الأجوبة الثالثة في أحكام الإعراب والبناء، مثل: ولماذا صار ما أسند إليه مرفوعا؟ لأن صاحب الحديث أقوى الأسماء، والضمة أقوى الحركات، فجعل الأقوى للأقوى.[3]

ويذكر مازن المبارك أن هذه العلل من ضمن ما يدخل في باب النظر والجدل وليس للنحو فيها نصيب ولا للغة منها نفع، وهي عبارة عن وسيلة استعلاء وتفاخر بين القوم، وسلاح اختبار وتناظر.[4]

ولهذا كان ابن مضاء القرطبي يطالب بإلغاء هذه العلل من النحو العربي، لأنها تعقد النحو وتشتت ذهن طلابه فيما لا يفيد.[5]

فالعلل الجدلية شغلت عقول المفكرين القدامى وخرجت بتفكيرهم اللغوي إلى تفكير قائم على الجدل والفلسفة، فهي علل قائمة على أسس غير لغوية على غرار العلل القياسية التي تفرض أن يكون هناك شبه بين الفرع والأصل دون التعرض إلى كثرة التَّمَحُّلَات.[1]

---

[1] محمد خان: أصول النحو العربي، ص103.

[2] الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص65.

[3] الجيلي عبد العال إدريس عمر: العلل النحوية بين القدماء والمحدثين، ص199.

[4] مازن المبارك: النحول العربي (العلة النحوية: نشأتها وتطورها)، ص96.

[5] الجيلي عبد العال إدريس عمر: العلل النحوية بين القدماء والمحدثين، ص199.

ويذكر الأستاذ علي أبو المكارم في أصول التفكير النحوي: أن العلل الجدلية لا تصف الظواهر اللغوية، ولا تلحظ الوظيفة النحوية كما تفعل العلل التعليمية، ولا تحاول الربط بين شتات الظواهر فتبدأ من الموجود بالفعل، كما حاولت العلل القياسية أن تحقق، وإنما تبدأ بعد ذلك، تبدأ بالتعليل لكل هذه العلل، فهي تنطلق من الفرض وليس من الواقع، وتهدف إلى تأييده عن التدبير العقلي المنطقي".[2]

وقد اتسمت العلل الجدلية بكثرة الأسئلة التي تقتضي الجدل، فلا جواب مقنع للعلة المسؤول عنها وما يجدر بالإشارة أن العلل تعليمية في أولها فلسفية في ثنايا شرحها وتفسيرها.[3]

ويضيف أبو المكارم بأن العلة الجدلية تمتاز بفوارق تنبعث من الإحساس بضرورة منطقية الظواهر والقواعد والعلل جميعا، فالعلل التعليمية هي نتيجة الرغبة في تبسيط القواعد النحوية، بينما العلل القياسية انبثقت عن رغبة النحاة في طرد الأحكام.[4]

وتقسيمات الزجاجي للعلل النحوية لم يكن تقسيما اعتباطيا، وخاصة بعد أن ظهر لهذا التقسيم أنصار ومؤيدون فأخذوا به، وإذا كان تصنيف الزجاجي للعلل مستوحى من نظرته إلى ما كان من ارتباط بين اللغة وغايتها، فقد كان سابقا بحق، وكان عارفا لأوضاع اللغة

---

[1] سليم قزعوط: التعليل النحوي من أصالة النشأة إلى تأثره بالعلوم، ص160.

[2] علي أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006، ص172.

[3] سليم قزعوط: التعليل النحوي من أصالة النشأة الى تأثره بالعلوم، ص160.

[4] ينظر: علي أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، ص172.

وروح النحو، وكان ذكيا في عنايته بالعلل الأول أو العلل التعليمية كما سماها، إذ هي المحققة لغاية النحو.[1]

فالنفوس تنبعث إلى نقل الأحكام المعللة بخلاف غيرها، ولذا كانت المعيارية وسيلة ناجحة في تعليم النحو، لأنها معللة تعليلا يؤدي إلى ترسيخها،[2]

وعليه تعد العلة النحوية بمختلف أنواعها حجر الزاوية في التفكير النحوي، إذ بها استطاع العلماء ضبط اللغة ووضع قواعدها، مما حافظ على سلامة العربية ودقتها عبر العصور.

خلاصة: لقد نشأت العلل النحوية ضمن جهود نحاة البصرة والكوفة وكان ذلك لتفسير الظواهر اللغوية ووضع قواعد النحو العربي، وكان اعتماد البصريين على التعليل الصارم والتحليل المنطقي فكان تفسيرهم للعلل دقيقا ومنهجيا، يركز على بنية اللغة وقواعدها الصارمة، مثلما كان عند سيبويه وشيخه الخليل بن أحمد الفراهيدي، بينما اعتمد الكوفيون على السماع والتوسع في الرواية، مما جعل تعليلاتهم أكثر مرونة وأقرب إلى الاستخدام الفعلي للغة.

ورغم اختلاف المدرستين إلا أنهما أسهمتا معا في تطوير الدراسات النحوية وتعميق فهم العلل النحوية، مما أثرى الفكر اللغوي العربي وأرسى دعائم النحو بشكل متكامل لا ينكره إلا حاقد على هذه اللغة وأهلها.

[1] مازن المبارك: النحو العربي (العلة النحوية: نشأتها وتطورها)، ص96.

[2] علي أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، ص186.

وعليه فالعلل النحوية تعتبر من أهم الأسس في تفسير القواعد النحوية، وتوضيح العلاقة بين التراكيب المختلفة، ولذا اعتمد النحاة على العلل التعليمية لتسهيل الفهم، وعلى العلل القياسية لوضع قواعد دقيقة قائمة على الاستنتاج والقياس، وعلى العلل الجدلية من أجل المباهاة والمفاخرة وكأنها من الأمور التحسينية، ويكون هذا النوع من العلل لفئة خاصة من النحاة وصلوا إلى درجة القمة في دراسة النحو.

ومن كل هذا تبلورت نظريات نحوية متنوعة أثرت الدراسات اللغوية وأغنت التحليل النحوي، من خلال اختلاف مناهج المدرستين البصرية والكوفية، وهكذا تبقى العلل النحوية أداة أساسية لفهم اللغة العربية بعمق، مما يساهم في الحفاظ على أصالتها وتطوير دراستها بطريقة علمية نقية إن صح التعبير.

الفصل الثالث: دراسة النماذج المختارة من كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري

- ✓ **المبحث الأول: بطاقة فنية لكتاب "الإنصاف".**

المطلب الأول: سيرة المؤلف.

المطلب الثاني: الجانب الشكلي للكتاب

المطلب الثالث: الجانب المضموني للكتاب

- ✓ **المبحث الثاني: منهج ابن الأنباري في كتابه "الإنصاف"**

المطلب الأول: ترتيب مسائل الكتاب

المطلب الثاني: ترجيحات ابن الأنباري في كتابه

المطلب الثالث: مآخذ الكتاب

- ✓ **المبحث الثالث: أهم المسائل المختارة من كتاب الإنصاف**

المبحث الأول: بطاقة فنية لكتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين" لابي البركات الأنباري.

توطئة:

يعد كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف واحدا من المصنفات القيمة في التراث اللغوي والنحوي العربي، ألَّفَهُ الإمام أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ابن الأنباري.

وجاء هذا الكتاب ليكون مرآة واضحة للخلافات النحوية بين المدرستين البصرية والكوفية، مع محاولة المؤلف ترجيح ما يراه صوابا منها بناء على الدليل والبرهان.

المطلب الأول: سيرة المؤلف.

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري، لقبه كمال الدين وكنيته أبو البركات[1]، يصفه "الذهبي" بأنه الإمام القدوة شيخ النحو[2]، ولد في الأنبار وسمع من أبيه فيها، ثم قدم بغداد في صباه وسكن فيها إلى أن مات، وكانت ولادته سنة (513هـ) على الأرجح. [3]

[1] ينظر: حياة ابن الأنباري لبركات يوسف هبود: مقدمة كتاب أسرار العربية لابن الأنباري، تح: بركات يوسف هبود، دار الأرقم، بيروت، ط1، 1999، ص13.

[2] الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف، محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984، ج1، ص113.

[3] ينظر: حياة ابن الأنباري لبركات يوسف هبود: مقدمة كتاب أسرار العربية لابن الأنباري، ص13.

تفقه بالنظامية على أبي منصور الرزاز وغيره، وبرع في مذهب الشافعي، وقرأ الخلاف وأعاد بالنظامية، ووعظ، ثم إنه تأدب بابن الجواليقي، وأبي السَّعدات ابن الشجري، وشرح عدة دواوين وتصدر وأخذ عنه أئمة.[1]

يقول فاضل صالح السامرائي: "تجمع المصادر التي ترجمت لأبي البركات بن الأنباري أنه كان رجلا صالحا ذا ورع ودين متين زاهدا عما يشغل الناس من مال ومتاع ،محمود السيرة، متعففا، لا يقبل من أحد شيئا، مشتغلا بالعلم والعبادة وقد انقطع آخر عمره لهما في بيته وترك الدنيا ومجالسة أهلها".[2]

لقد ترك ابن الأنباري من المصنفات والكتب الشيء الكثير، وفي مختلف المجالات، فصنف في المجالات اللغوية والنحوية والفقهية والأصولية والكلامية والتاريخية وغيرها، كما كان له في الشعر حظ وافر فذكر بعضهم بأن له ديوان شعر.[3]

وذكر السُّبكي في كتابه: "طبقات الشافعية الكبرى" أن "لأبي البركات في اللغة والنحو ما يزيد على خمسين مصنفا، وجاء بعده السيوطي ليوصلها في كتابه "بغية الوعاة" إلى سبعين مصنفا، وأما ابن عباد، فقد أوصلها في كتابه "شذرات الذهب" إلى ثمانين مصنفا ومئة مصنف".[4]

---

[1] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ص113-114.

[2] فاضل صالح السامرائي: أبو البركات بن الأنباري ودراساته النحوية، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ط1، 1975، ص23.

[3] ينظر: حياة ابن الأنباري، لبركات يوسف هبود: مقدمة كتاب أسرار العربية لابن الأنباري، ص15.

[4] المرجع نفسه، ص5.

ويذكر "فاضل السامرائي" بأنها تصانيف حسنة نافعة، ظهرت واشتهرت وتمتاز بالتنسيق الجيد والترتيب الجميل، والعرض الحسن، وهذه ظاهرة واضحة بيِّنةٌ في مؤلفات ابن الأنباري، كالإنصاف وأسرار العربية، ولمع الأدلة والإغراب وغيرها من الكتب، يعرضها بأسلوب سهل عذب يدعمه بالمنطق والحجة[1]، وأهم مصنفاته اللغوية والنحوية ما يلي:

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين
- أسرار العربية
- تفسير غريب المقامات الحريرية
- الزاهر في اللغة
- شرح السبع الطِّوال
- كتاب اللمع في صنعة الشعر
- نزهة الألباب في طبقات الأدباء.[2]

ولا غرابة في كثرة كتب ومؤلفات ابن الأنباري، فالعمر الذي عاش فيه ابن الأنباري – المئة السادسة للهجرة – يعتبر الذروة في ازدهار العلوم والآداب والتفنن في تدوينها والتأليف فيها.[3]

[1] فاضل صالح السامرائي: أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية، ص51.

[2] ينظر: حياة ابن الأنباري لبركات يوسف هبود، مقدمة كتاب أسرار العربية لابن الأنباري، ص16.

[3] ينظر: ابن الأنباري حياته، مؤلفاته، فنه، لسعيد الأفغاني، مقدمة كتاب الإغراب في جدل الإعراب لابن الأنباري، تح: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط2، 1971، ص5.

قرأ ابن الأنباري النحو على الإمام النقيب أبي السّعدات هبة الله بن الشجري الذائع الصيت، حتى برع وصار من المشار إليهم في النحو ولم يكن ينتمي في النحو إلا إليه، وتعتبر هذه الفترة من أخصب الحقب إنتاجا في حياته، إذ ألف فيها لكبار المشتغلين عليه كتابه "الإنصاف" والذي يعد من أعظم الكتب في العربية.[1]

يرى الأستاذ مهدي المخزومي أن الكتب والمؤلفات التي ذكرها السيوطي في البغية تنبئ على أن ابن الأنباري قد قرأ علم الكلام وصنف فيه، فقد ذكر من بين مؤلفاته الكثير في النحو واللغة: كتاب "الداعي إلى الإسلام في علم الكلام" وكتاب "الجمل في علم الجدل"، ومن ذلك أنه كان يستعير ألفاظ الفلاسفة وعباراتهم في احتجاجه لمسائل نحوية ولغوية.[2]ولذا كانت كتب ومؤلفات "ابن الأنباري" التي مست جميع الفنون والمجالات قفزة نوعية جعلت من أسلوبه ميزة فريدة تمتاز بقوة العرض وبقوة الحجة والبرهان، وخاصة في كتابه "الإنصاف" الذي ظهر فيه بأسلوب منهجي مرتب، حيث يعرض المسألة ثم يبين آراء الفريقين – البصريين والكوفيين – ويناقشها بعرض الأدلة، ثم يرجح الرأي الذي يراه أقرب إلى الصواب، وبذلك كان ابن الأنباري يمارس نقدا علميا موضوعيا يدل على سعة اطلاعه وتمكنه من أدوات البحث النحوي.

[1] ينظر: ابن الأنباري حياته مؤلفاته فنه، لسعيد الأفغاني، ص7.

[2] مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة (ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1958، ص360-361.

يعد ابن الأنباري أحد أبرز علماء اللغة والنحو في التاريخ العربي، حيث قدم إسهامات جليلة في دراسة الخلافات النحوية بين مدرستي البصرة والكوفة من خلال كتابه: "الإنصاف في مسائل الخلاف"، استطاع أن يجمع بين آراء المدرستين ويعرضهما مقدما تحليلات عميقة أسهمت في تطوير الدراسات اللغوية، وكان ابن الأنباري نموذجا للعالم المتبحر في علوم اللغة، حيث لم يكن مجرد ناقل للخلافات بل كان ناقدا ومحللا، يزن الآراء بميزان الإنصاف والعلم، وبهذا يبقى إرثه العلمي شاهدا على جهوده القيمة في الحفاظ على اللغة العربية ودقة قواعدها، مما جعل مؤلفاته مرجعا مهما للباحثين والدارسين حتى يومنا هذا.

توفي رحمه الله ليلة الجمعة في التاسع من شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة هجرية (577هـ/1181م) ودفن بتربة الشيخ بن إسحاق الشيرازي.[1]

المطلب الثاني: الجانب الشكلي للكتاب.

يعد كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنباري من أهم المصادر النحوية التي تسلط الضوء على تطور النحو العربي ومدارسه المختلفة، خاصة مدرستي البصرة والكوفة، وكتاب الإنصاف من المراجع المهمة التي لا بد أن يرجع إليها الدارس الذي يحاول

[1] ينظر: حياة ابن الأنباري لبركات يوسف هبود، مقدمة كتاب أسرار العربية لابن الأنباري، ص17.

الوقوف على أعمال النحاة وعلى أساليبهم في تناول المسائل النحوية، سواء من أهل البصرة أو الكوفة.[1]

وجاء كتاب الإنصاف حافلا بمسائل خلافية بين البصريين والكوفيين، وقد اشتمل على جملة من الشواهد المختلفة (قرآن كريم، كلام العرب، قراءات قرآنية بنوعيها)، وهذه الشواهد من ضمن ما استعان به ابن الأنباري لترجيح رأي البصريين أو الكوفيين في تلك المسائل.[2]

وعليه جاء هذا المؤلف بعنوان دقيق يعكس مضمونه بشكل واضح، ويحمل في طياته وبين ثنايا مفرداته وألفاظه الشيء الكثير، فكان العنوان كما يلي: "الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين"، وهذا العنوان يحمل العديد من المفردات والمصطلحات ترمز إلى العديد من المعاني، منها:

1-الإنصاف: يشير هذ المصطلح إلى العدل والتوازن في عرض القضايا الخلافية بين مدرستي البصرة والكوفة في النحو واللغة، ويدل كذلك على أن المؤلف يسعى إلى تقديم رؤية موضوعية ومنصفة عند مناقشة وطرح الاختلافات بين المدرستين أو بالأحرى بين المذهبين، فكلاهما وجهان لعملة واحدة.

[1] مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص359-360.

[2] نور الدين دريم: أثر القراءات القرآنية في ترجيح الحكم النحوي (دراسة في كتاب الإنصاف لابن الأنباري)، مجلة أمارات، ع1، ديسمبر 2017، كلية الآداب والفنون، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، ص48.

2-في مسائل الخلاف: يفهم من هذا أن الكتاب يعالج القضايا الخلافية بين نحاة وعلماء المدرستين البصرية والكوفية، ويتناول المسائل التي وقع فيها التباين في الآراء بين النحويين واللغويين في كلا المدرستين.

3-بين البصريين والكوفيين: اسمان معروفان ومشهوران كنار على علم في النحو العربي، وموقعهما في عنوان الكتاب بهذا النمط يشير إلى الخلاف المعروف بين مدرستي النحو في البصرة والكوفة، حيث كانت لكل مدرسة منهجها الخاص في دراسة اللغة العربية وقواعدها، فالبصريون يميلون إلى المنهج العقلي والاستدلالي، بينما يعتمد الكوفيون أكثر على السماع والرواية.

ويعتبر الخلاف الذي نشأ بين الفريقين – البصريين والكوفيين – من ضمن ما سجله التاريخ في سير ومسيرة النحو العربي، فالنحو منذ زمن أبي الأسود الدؤلي بدأ على شكل إرهاصات، ثم تطور ونضج واكتمل صرحه ليظهر بعد ذلك الخلاف ويشتد مع مرور الزمن وتوالي الأعصر، فألف في هذا الفن الكثير من الكتب، فمنها ما كتب له البقاء فحقق ودرس، ومنها ما أتت عليه نوائب الدهر فاندثر وذهب، وكان أشهر ما ألف في هذا الفن كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين".[1]

وهذا الكتاب يعرض القضايا النحوية واللغوية المختلف فيها بين المدرستين، ثم يرجح المؤلف بين الآراء بناء على الحجج والأدلة، محاولا الوصول إلى "الإنصاف" في الحكم دون

[1] نور الدين دريم: أثر القراءات القرآنية في ترجيح الحكم النحوي، ص48.

تعصب لأي من الطرفين، وبالتالي العنوان يعكس هدف الكتاب في تقديم رؤية معتدلة وعلمية لمسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، وعليه فكتاب "الإنصاف" يعد من أهم المراجع في علم النحو المقارن، ويستخدم في الدراسات اللغوية والنحوية المتخصصة.

كتاب "الإنصاف" يذكر أسماء علماء البصرة والكوفة الذين وقع الخلاف بينهم في القضايا النحوية ومن أبرز هؤلاء نذكر التالي:

1-علماء المدرسة البصرية:

الخليل بن أحمد الفراهيدي: واضع علم العروض وأحد مؤسسي المدرسة البصرية

سيبويه: مؤلف "الكتاب"، وأحد علماء النحو البصريين

المبرد: من أبرز نحاة البصرة في القرن الثالث الهجري

الأخفش الأوسط: كان أكثر انفتاحا على بعض آراء الكوفيين

الجرمي والمازني: أيضا من نحاة البصرة وممن ساهموا في تطوير النحو البصري

2-علماء المدرسة الكوفية:

الكسائي: مؤسس المدرسة الكوفية في النحو

الفراء: كان من أبرز منظري النحو الكوفي

ثعلب: من أهم نحاة الكوفة المتأخرين

ابن السكيت: عالم لغوي كوفي بارز

الزجاجي: من النحويين الذين دافعوا عن المدرسة الكوفية

يقول سعيد الأفغاني: "والكتاب حافل بقواعد أصولية عامة غير المسائل الكثيرة التي يسوق إليه الاستطراد، أما الشواهد وكثرتها فحدث ولا حرج، إذ هي عمدة كل فريق في نصر ما يذهب إليه".[1]

ويذكر جودة مبروك محمد – محقق كتاب الإنصاف – بأن هذا المؤلف حظي باهتمام كبير من الدارسين والباحثين، عربا ومستشرقين، وهذا الاهتمام إنما ينبع من قيمة الكتاب العلمية وتأثيره الكبير في التاريخ النحوي، ولهذا توالت الأيادي والأقلام في النظر فيه، لتفضي في النهاية عن وجهة نظرها.[2]

ومن الطبعات التي حظي بها كتاب الإنصاف ما يلي:

. طبع قسم منه في "وثانا" سنة (1878م) باعتناء "جارونيه"

[1] ينظر: ابن الأنباري حياته مؤلفاته فنه لسعيد الأفغاني، ص18.

[2] ينظر: جودة مبروك محمد مبروك: مقدمة كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، تح: جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002، ص51.

. طبعة بعناية المستشرق "فايل" وقد نشره مع مقدمة بالألمانية للكتاب في برلين، (1913م)، واشتمل تقديمه على الحديث عن مدرسة البصرة والكوفة وعن أشهر نحوييها ومنهجها في النحو واللغة والموازنة بين المنهجين وتطور المدرستين.[1]

وعن هذه الطبعة يعلق "جودة مبروك محمد" قائلا: "وقد ترجم هذه الدراسة عن الألمانية الدكتور "حسين مجيب" المصري عام (1968م) وهي ترجمة تكثر فيها الأخطاء إلى حد أنه لا يمكن إقامة جملة صحيحة منها، ولست أدري أ يكون العيب من المترجم أم من المطبعة؟".[2]

. طبعة بعناية الشيخ "محمد محي الدين عبد الحميد"، ومن خلال هذه الطبعة يظهر من أسلوب الشيخ محيي الدين أنه قصد شرح الكتاب لا تحقيقه، وسمى هذا الشرح "بالانتصاف من الإنصاف"، ووضع تعليقات ذات قيمة وشأن على كتاب "الإنصاف".[3]

ويقول فاضل صالح السامرائي: "أن كتاب الإنصاف" هو أقدم كتاب وصل إلينا بين البصريين والكوفيين في المسائل الخلافية، وهو كتاب ممتع جليل[4]. أما عن مخطوطات كتاب "الإنصاف" فهناك ثلاث نسخ حسب قول محقق الكتاب جودة مبروك محمد:

---

[1] المرجع نفسه، ص51.

[2] ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تح: جودة مبروك محمد مبروك، هامش، ص51.

[3] المرجع نفسه، ص51.

[4] فاضل صالح السامرائي: أبو البركات بن الأنباري ودراساته النحوية، ص60.

الأولى: مخطوطة الإسكوريال، وهي مصورة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ويرى بأنها أصح المخطوطات، وتقل فيها الأخطاء والأسقاط.

الثانية: وهي مخطوطة دار الكتب الظاهرية، وناسخها محمد بن محمد العراقي، وهي تامة وتقع في جزأين بمجلد واحد.

الثالثة: وهي مخطوطة مكتبة الزاوية الحمزاوية بالمغرب، وهي مصورة معهد المخطوطات العربية، وهي نسخة جيدة وبخط واضح.[1]

وتعد هذه المخطوطات مصدرا أساسيا للمسائل النحوية الخلافية، ولها ميزة الحفاظ على التراث النحوي ونقله للأجيال اللاحقة، حيث حفظت الكثير من الآراء التي ربما لم تصلنا إلا من خلالها، وكذلك يعتمد الكثير من اللغويين والمحققين عليها في دراسة تاريخ وتطور النحور العربي.

المطلب الثالث: الجانب المضموني للكتاب:

إن الحلة الجميلة التي يكتسيها ويلبسها كتاب "الإنصاف" بهذا الشكل لم تأت من فراغ أو من عدم، بل كانت هناك محطات ووقفات حكاها لنا التاريخ، سبقت ومهدت الطريق للوصول إلى ما وصل إليه كتاب "الإنصاف" بالمسائل المشهورة التي جابت الآفاق وحملت من خلافات البصريين والكوفيين الشيء الكثير.

[1] ينظر: جودة مبروك محمد مبروك: مقدمة كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص57-58.

ولذا كان التطلع إلى أن يكون للعربية علوم وقواعد وأصول على مثل ما للشريعة أهمية داعبت هم الكثير من العلماء منذ المائة الثانية للهجرة.

وكانت هناك محاولات جزئية، إلى أن جاء ابن الأنباري، إذ كانت كل المؤهلات تجمعت فيه، فقام بها وحده، ووضع في فن الخلاف كتابه "الإنصاف"[1]، في الحقيقة لقد سبقت كتاب الإنصاف محاولات في فن الخلاف، إلا أن كتب الخلاف القديمة تختلف اختلافا بينا عن كتب الخلاف المتأخرة، ويرجع السبب في ذلك أن الكتب القديمة جاءت على شكل ردود وخلافات فردية بعيدة عن التعصب المذهبي ومسائلها تختلف في العرض والتبويب عن كتب الخلاف المتأخرة وكذا أسلوبها.[2]

ويذكر ابن الأنباري السبب الذي دفعه إلى تأليف كتاب "الإنصاف" في مقدمة كتابه فيقول: "أن جماعة من فقهاء وأدباء المدرسة النظامية طلبوا منه تأليف كتاب يحوي أشهر المسائل الخلافية بين نحاة البصرة والكوفة على طريقة ترتيب المسائل الخلافية بين فقهاء الشافعية ومذهب أبي حنيفة".[3]

وعلى هذه المقدمة يقول فاضل صالح السامرائي بأنها تشتمل على نقاط رئيسية وجب الوقوف عليها ومنها:

---

[1] ينظر: ابن الأنباري حياته مؤلفاته فنه لسعيد الأفغاني، ص18-21.

[2] نور الدين دريم: أثر القراءات القرآنية في ترجيح الحكم النحوي، ص54.

[3] ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تح: جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002، ص3.

أن كتاب الإنصاف لا يشمل جميع المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين، وإنما يشمل مشاهيرها كما ذكر ابن الأنباري، فهناك مسائل نحوية ولغوية لم يتطرق إليها المؤلف.[1]

والواقع هو هذا، فهناك مسائل كثيرة قد يقصر عنها العد، كانت موضعا للخلاف بين الفريقين، ذكر السيوطي بعضها في الأشباه والنظائر، وذكر النحاة بعضها الآخر مبثوثا هنا وهناك في الأبواب التي تناولوها بالدرس.[2]

ويذكر مهدي المخزومي أن "فايل" قد قرر هذا أيضا، وأن هذه المسائل تمثل وجهات النظر المختلفة عند الكوفيين والبصريين.[3]

إن هذا الكتاب حسب ما ذكر ابن الأنباري نفسه، يعتبر أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب وألف على هذا الأسلوب لأنه ترتيب لم يصنف عليه أحد من السلف ولا ألف عليه أحد من الخلف.[4]

إن ما ذكره ابن الأنباري في مقدمة كتابه "الإنصاف" حول سبب تأليفه للكتاب توهم القارئ أنه الأول في التأليف في مثل هذا الفن، ألا وهو فن الخلاف، ولكن أسبقية التأليف في هذا الفن لا ترجع إلى ابن الأنباري كما يبدو ذلك من قوله للولهة الأولى.[1]

---

[1] فاضل صالح السامرائي: أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية، ص60-61.

[2] مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص362.

[3] المرجع نفسه، ص362.

[4] فاضل صالح السامرائي: أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية، ص61.

لقد ذكرت كتب التراجم أن "ابن كيسان" ألف في اختلاف البصريين والكوفيين، وأن "أبا جعفر النحاس" المصري ألف كتابا في هذا الشأن اسمه "المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين".[2]

ومن حيث السَّبق الزمني يرى "سعيد الأفغاني" محقق كتاب الإنصاف أن أحمد بن يحيى ثعلب الكوفي هو الذي سبق الجميع في هذا المجال بكتاب عنوانه (اختلاف النحويين).[3]

يحتوي كتاب "الإنصاف" على (121) مسألة خلافية في النحو واللغة، المسألة الأولى (الاختلاف في أصل اشتقاق الاسم) والمسألة الأخيرة (القول في رُبّ اسم هو أم حرف) وهناك مسائل خلافية كثيرة في النحو واللغة لم يعرض لها ابن الأنباري.[4]فكتاب الإنصاف بمسائله الخلافية – التي حواها – مس العديد من الجوانب التي تتعلق بتاريخ النحو العربي وتطوره، ومنها توثيق الخلاف بين مدرستي البصرة والكوفة، فهو يعرض المسائل النحوية الخلافية بين البصريين والكوفيين مما يساعد الباحث على فهم الفروق الجوهرية بين المدرستين، ويظهر أوجه القوة والضعف في كل مذهب نحوي ويساعد في معرفة تطور الفكر النحوي عبر الزمن.

---

[1] نور الدين دريم: أثر القراءات القرآنية في ترجيح الحكم النحوي، ص54.

[2] فاضل صالح السامرائي: أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية، ص61.

[3] كمال مجيدي: العتبات النصية في كتب الخلاف النحوي، وسؤال المنهج، كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف أنموذجا، الاستشهاد بالقرآن الكريم منطلقا، مجلة كلية الآداب واللغات، ع22، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2018، ص47.

[4] فاضل صالح السامرائي: أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية، ص63.

ومن خلال هذه المسائل يُظهر كتاب "الإنصاف" كيف أثر الخلاف النحوي في تطور علم النحو والصرف، وكيف أدى هذا الجدل العلمي إلى توسع الدراسات اللغوية كما ساهم في فهم كيفية نشوء قواعد اللغة العربية وتطورها عبر العصور مما يساعد الباحثين في تأْريخ النحو.

فهو من ضمن المراجع والمصادر الأساسية لفهم تاريخ النحو العربي، كما يعكس تطور الفكر النحوي، ويوضح أسباب الخلاف بين المدارس المختلفة، ويبرز المنهج العلمي في دراسة اللغة، لذلك لا غنى عنه لأي باحث مهتم بتاريخ النحو العربي وتطوره.

إن كتاب الإنصاف قد ألف على ترتيب المسائل الخلافية في الفقه، وقد كان الإمام أبو سعيد محمد بن يحيى النيسابوري الشافعي ألف كتابا أسماه "الإنصاف في مسائل الخلاف".[1]

المبحث الثاني: منهج ابن الأنباري في كتابه "الإنصاف".

توطئة: يُعد كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنباري نموذجا متميزا في المنهجية العلمية لدراسة النحو العربي، حيث لم يكتف ابن الأنباري بعرض المسائل الخلافية بين "البصريين والكوفيين" بل عمد إلى المناقشة والترجيح بناء على أدلة علمية ومنطقية.

وترجع الخلافات النحوية مع بداية تطور النحو العربي في أواخر القرن الثاني الهجري، ويقصد بالخلاف النحوي ما نشأ بين علماء البصرة والكوفة من تباين في تعليل

[1] فاضل صالح السامرائي: أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية، ص61.

الظواهر اللغوية، ومن اختلاف في استنباط الأحكام النحوية وتمايز في فهم الأصول النحوية واستخدامها، وتقعيد القواعد وتخريجها، ويقصد بالخلاف أيضا ما نشأ بين علماء البصرة أنفسهم أو علماء الكوفة من اختلاف فردي في المنهج.[1]

المطلب الأول: ترتيب مسائل الكتاب.

إن المسائل التي عرضها ابن الأنباري في كتابه "الإنصاف" منها ما يرجع إلى أصل الكلمة واشتقاقها، ومنها ما يرجع إلى طبيعة الكلمة في كونها اسما أو فعلا أو حرفا. ومنها ما يعود إلى صحة مجيء كلمة بمعنى كلمة أخرى، ومنها مسائل في العامل والعمل كعامل الرفع في المبتدأ والخبر، ومنها ما يعود إلى الجواز وعدمه ومنها ما يعود إلى الإعراب والبناء، ومنها ما يعود إلى العلل، كالعلة في بناء الآن، وعلة إعراب الفعل المضارع، وعلة حذف الواو من (يعد) ونحوه وعلة منع (أشياء) من الصرف، ومنها ما يعود إلى الأوزان.[2]

ويأتي ترتيب هذه المسائل على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة، كما يقول الأنباري نفسه، فذكر "من مذهب كل فريق ما اعتمد عليه أهل التحقيق، واعتمد في النصرة على ما يذهب هو إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة، محاولا أن يكون ذلك على سبيل الإنصاف لا التعصب والإسراف.[3]

---

[1] شريف عبد الكريم محمد النجار: أثر الخلاف النحوي في توجيه آيات القرآن الكريم على الحكم الفقهي (نماذج من آيات الأحكام)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج18، ع38، 1427هـ، ص450.

[2] فاضل صالح السامرائي: أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية، ص67-69.

[3] مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص360.

وعليه فترتيب مسائل "الإنصاف" بهذه الطريقة بغض النظر عن الإنصاف أو الإجحاف، مما يساعد الطلاب والباحثين على تنمية مهارات التحليل والمقارنة بين الآراء النحوية المختلفة، كما يبين أهمية التفكير النقدي في دراسة النحو وعدم الاكتفاء بالنقل دون تمحيص.

وتعتبر هذه المسائل من أهم المسائل التي دار حولها وفيها الخلاف بين المدرستين، ولكنها ليست كلها من النحو بمعناه الخاص، ففيها من المسائل التي تتصل بدراسة البنية والاشتقاق ما يزيد عن ثلاثين مسألة.[1]ومن خلال هذه المسائل اكتسب كتاب الإنصاف أهمية كبيرة من خلال طريقة العرض والتنظيم ومن خلال أسلوب المقارنة والتحليل ومناقشة الأدلة والحجج والبراهين، مما يعكس مدى تطور الجدل والنقد النحوي، كما يعكس تطور ونضج الدرس النحوي عند العرب.

ولذا أصبح كتاب "الإنصاف" من بين أهم المصنفات في هذا الفن، وأكثرها فائدة وأعظمها نفعا لكبر حجمه وكثرة شواهده وسهولة تناوله، فلا يوجد كتاب ينافسه في ذلك أو يضاهيه في حسن العرض وجودة البيان.[2]

[1] مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص366.

[2] نور الدين دريم: أثر القراءات القرآنية في ترجيح الحكم النحوي، ص54.

المطلب الثاني: ترجيحات ابن الأنباري في كتابه.

إن طريقة ابن الأنباري في كتابه "الإنصاف" هي أنه يبدأ بذكر رأي الكوفيين ثم رأي البصريين، ثم يعرض حجج كل منهما، ثم يرد على الفريق الذي لا يرى أن الحق بجانبه، وهذا الفريق في الغالب هم الكوفيون الذين لم يوافقهم إلا في سبع مسائل من مجموع إحدى وعشرون ومئة مسألة.[1]

كما أن ابن الأنباري في منهجه لا يكتفي بعرض الخلاف بل يستخدم منهج الترجيح حيث يختار الرأي الأقرب للصواب بناء على الأدلة اللغوية والشواهد القرآنية والشعرية، ويعكس ذلك تطور النقد العلمي في النحو العربي، مما يظهر أن العلماء لم يكونوا مجرد ناقلين، بل كانوا مجتهدين في الترجيح بين الآراء.

فابن الأنباري يبدأ بعرض المسألة بوضوح ويذكرها صياغة وتعريفا مما يساعد القارئ على فهم طبيعة الخلاف، وكذلك يشير إلى الأطراف المختلفة في الخلاف من كلام المدرستين البصرية والكوفية.

ويقول سعيد الأفغاني: "إن ابن الأنباري يسير في عرض مسائل "الإنصاف" بخطة محكمة تمر بأربعة مراحل تشبه مراحل الدعوى في المحاكم وهي:

1-سرد دعوى الكوفيين فيه ثم دعوى البصريين، وبذلك تحدد جوانب الموضوع كله.

[1] فاضل صالح السامرائي: أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية، ص69.

2-الإدلاء بالبينات، فيبدأ بحجج الكوفيين يعرضها بوضوح، ثم يعقبها بحجج البصريين كذلك

3-الردود، يعرض في هذه المرحلة لردود كل فريق على حجج الفريق الآخر وأغلب ما يطرد ذلك للبصريين

4-الحكم، لكن هذه المرحلة لا تطرد في كل المسائل، فكأن ابن الأنباري يكتفي بإيراد ردود البصريين على حجج الأولين فتكون هذه الردود هي حكمه هو نفسه في المسألة المعروضة، على أنه نصر مذهب الكوفيين في مسائل قليلة".[1]

ولا يكتفي ابن الأنباري بعرض الأدلة بل يقوم بتحليلها ونقدها موضحا نقاط القوة والضعف في كل دليل، كما أن ابن الأنباري يستخدم القياس النحوي، بمعنى أنه يقارن المسألة بمسائل أخرى مشابهة للحكم عليها، ويعتمد كذلك على شواهد لغوية قوية تدعم الرأي الراجح، وكل هذا يكون وفقا للمنهج العقلي واللغوي وتلك هي السمة الغالبة على عرض المسائل في الكتاب.

ومن سمات ابن الأنباري في منهجه وأسلوبه في كتابه "الإنصاف" هو الترجيح بناء على قوة الأدلة بحيث يقوم بعد تحليل الآراء بترجيح الأقوى بينها بناء على:

1-كثرة الشواهد القرآنية والشعرية المؤيدة للرأي

2-القياس النحوي، ومدى توافق القاعدة مع قواعد النحو الأخرى

[1] ينظر: ابن الأنباري حياته مؤلفاته فنه لسعيد الأفغاني: مقدمة كتاب الإغراب في جدل الإعراب، ص17.

3-المنطق اللغوي ومدى انسجام الرأي مع طبيعة اللغة العربية

4-المذهب الأكثر انتشارا بين النحاة خاصة مذهب البصريين الذين كانوا أكثر دقة في ضبط القواعد.

ومن مزايا منهج ابن الأنباري أنه يبرز التطور المنهجي للنحو العربي ويعكس التفكير النقدي عند النحاة، كما يساعد الباحثين على فهم أصول الترجيح النحوي كما يعد نموذجا في المنهج العلمي الموضوعي في دراسة اللغة.

ولذا كان نحو ابن الأنباري نحوا بصريا بكل ما لهذه الكلمة من دلالة، بل كان في دراسته النحوية غاليا كل الغلو في اتباع حرفية المنهج البصري، الذي يخيل إلى أنه كان إذ ذاك قد وصل في نموه إلى الذروة في تحكيم الفلسفة في المسائل النحوية.[1]

وهناك الكثير من المسائل التي سار فيها ابن الأنباري على هذا النمط، أي نمط استعارة ألفاظ الفلاسفة، وعباراتهم في منهجه وأسلوبه، وهذه الأقوال غنية بالتأثير الفلسفي، بل هي من عبارات الفلاسفة، حيث يقررون عدم اجتماع الضدين، وحين يفرقون بين الجوهر والعرض، ويمنحون الجوهر أصالة الوجود أو سبقه، وحين يبطلون أن يسبق الشيء نفسه لأن ذلك يستلزم الدور وهو محال.[2]

[1] مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص361.

[2] المرجع نفسه، ص362.

المطلب الثالث: مآخذ الكتاب.

كتاب "الإنصاف" لابن الأنباري يعد من الكتب المهمة التي تناولت الخلاف النحوي بين "مدرستي البصرة والكوفة" وهو من أبرز الكتب التي سعت إلى تقديم رؤية وسطية بين المدرستين مع ترجيح بعض الآراء وفق الحجة والدليل.

ورغم أهمية الكتاب إلا أنه لم يسلم من بعض الملاحظات والمآخذ التي أشار إليها بعض الباحثين، بحجة أنه خلَّف أوهاما توارثتها الأجيال في قضية الخلاف النحوي.

وعلى إثر ذلك يقول "حسن منديل العكيلي" فيما نقله عن "محمد خير الحلواني": "ومن الملاحظات التي وقعنا عليها في هذا الكتاب أنه كان سببا في تشويه كثير من الحقائق في تاريخ النحو ومسائل الخلاف وسببا لأوهام موروثة كثيرة في الخلاف النحوي، ولتعميق فكرة المدارس لدى المتأخرين والمعاصرين فضلا عن ابتعاده عن الموضوعية والإنصاف وعدم الدقة في عرض الآراء، ونسبتها إلى أصحابها الحقيقيين واتصافه بالتعميم وهي صفة يرفضها البحث العلمي الدقيق المعاصر، وتعصبه، والجهل بالمصادر التي اعتمدها وغير ذلك".[1]

وهناك أيضا جملة من العيوب التي شابت كتاب الإنصاف منها:

[1] نور الدين دريم: أثر القراءات القرآنية في ترجيح الحكم النحوي، ص55.

- غياب الحياد التام، فابن الأنباري كان يميل إلى المدرسة البصرية أكثر من المدرسة الكوفية في كثير من المسائل، حيث يرجح آراء البصريين في غالب الأحيان.
- عدم التوسع في الأدلة اللغوية، ففي بعض المسائل لم يقدم ابن الأنباري تفصيلا كافيا للأدلة سواء من القرآن أو الشعر العربي، ولم يناقش بعض القضايا بشكل موسع كما فعل غيره من النحويين.
- تمسكه بالمصطلحات البصرية واعتماده كذلك في الاحتجاج والقياس والعلة ونظرية العامل على الأصول البصرية، وذلك من خلال تصريحاته الغير مباشرة التي تدل على ميله إلى نحو البصريين.[1]
- عدم الدقة في النقل عن المذهب الكوفي وفوات شواهد للكوفيين عليه، وإيراده مسائل ليست خلافية بين الفريقين على أنها خلافية.[2] فكتاب "الإنصاف" ليس خاليا من بعض القصور، سواء في ميله إلى البصريين أو في عدم التوسع في الحجاج والأدلة، ومع ذلك يبقى مرجعا مهما لفهم الخلافات النحوية بين المدرستين الرئيسيتين . البصرية والكوفية . في النحو العربي، ويبقى كذلك من أهم الكتب في علم النحو.

[1] دموش فاطمة الزهراء: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري في نظر دارسيه، (مجلة دراسات، المجلد7، ع2، جوان 2018)، جامعة طاهري محمد، بشار، الجزائر، ص214.

[2] نور الدين دريم: أثر القراءات القرآنية في ترجيح الحكم النحوي، ص56.

ورغم الانتقادات التي وجهت لكتاب "الإنصاف" إلا أنه لم يفقد قيمته العلمية، بل عد مصدرا يعول عليه وينبوعا تتشرب منه المؤلفات والأبحاث والدراسات.[1]

وهناك العديد من الدراسات التي تناولت كتاب "الإنصاف" بالنقد والتحليل، وناقشت منهجيته وميزاته وعيوبه، فبعض هذه الدراسات ركزت على الجوانب النحوية، وأخرى تناولت المنهج النقدي الذي اتبعه ابن الأنباري في الترجيح بين آراء المدرستين.

يقول مهدي المخزومي: "إن الدارس ليفيد من الوقوف على هذه المسائل الخلافية في تصوير الخلاف المنهجي بين المدرستين، فإن كثيرا من المسائل التي يستند الكوفيون في الأخذ بها إلى النقل ويتمسكون في القول بها بظاهر النص، كان البصريون يلجؤون في الاحتجاج لها إلى القياس وحده، فإذا حاولوا الإجابة عن احتجاج خصومهم وما قدموه من مرويات ومسموعات، لجؤوا إلى ما عهدناه فيهم من تأويل وتقدير، أو رفض وإنكار، والشواهد على ذلك كثير، ظاهرة لمن يقف على مسائل الخلاف في إنصاف ابن الأنباري".[2]

والخلاف كان جوهريا بين الاتجاهين التقليدي والاجتهادي، وكذا مسألة التفسير والتأويل، حيث أن الكوفيين كانوا أكثر تمسكا بالنقل، بينما البصريون كانوا أكثر مرونة في التعامل مع النصوص عبر القياس، فالخلاف لم يكن مجرد اختلاف نظري، بل كان له

[1] دموش فاطمة الزهراء: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري في نظر دارسيه، ص216.

[2] مهدي المخزومي: المدرسة الكوفية ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص364.

انعكاسات علمية في الدراسات اللغوية، وكان لكل مدرسة منطقها الخاص في التعامل مع النصوص وهو ما أثمر في تطور العلوم العربية لاحقا.

المبحث الثالث: أهم المسائل المختارة من كتاب الإنصاف.

توطئة: تقدم معنا في الفصل الأول والثاني مسائل نظرية تعد توطئة لهذا المبحث، والذي اخترنا فيه بعض النماذج التي دار البحث حولها، ويرجع سبب اختيار هذه المسائل لدراستها من خلال العلل النحوية إلى المعايير التالية:

- كونها مسائل خلافية بارزة بين البصريين والكوفيين، فهي تمثل جوهر الخلاف بين المدرستين، وهي من أكثر القضايا التي أثيرت في كتب الخلاف النحوي، وخاصة في كتاب "الإنصاف" لابن الأنباري.
- تنوعها وشمولها مختلف أبواب النحو، فهي تغطي أبوابا مختلفة من النحو، مثل: (الإعراب، التراكيب النحوية، الصرف)، وهذا التنوع يساعد في تقديم دراسة متكاملة عن العلل النحوية في مختلف المجالات.
- القدرة على إظهار المنهج العقلي لكل مدرسة، فالمدرسة البصرية نجدها تعتمد على المنهج العقلي، والقياس الصارم، مما يجعل تعليلها للقواعد قائما على المنطق والاطراد في اللغة، بينما المدرسة الكوفية تعتمد على السماع بشكل أكبر، ولها اتجاه أكثر تساهلا في القواعد النحوية مما يظهر تعليلاتها المختلفة عن

البصريين، ودراسة هذه المسائل تساعد في فهم طبيعة الاستدلال النحوي عند كل مدرسة، ومدى تأثير ذلك على تطور النحو العربي.

وعليه فإن دراسة هذه النماذج يكون لبيان كيفية تعاطي وتعامل المدرستين مع مفهوم العلة، ووجود التفاسير المختلفة التي قدمها كل منهما، وهذه المسائل هي:

المسألة الأولى: علة إعراب الأسماء الستة[1]

الأسماء الستة هي أسماء تعرب إعرابا خاصًّا، وتعدّ من أبواب النحو المهمة في اللغة العربية، وهي: (أب، أخ، حم، فو، ذو، هنٌ)، فترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء، بشرط أن تكون مضافة، مفردة، مستكملة للشروط الصرفية، ويرى بعض النحويين بأنها خمسة وأسقطوا (هنوه)، وقالوا بأنها لغة قليلة ذكرها سيبويه ولم يطلع عليها الفراء والزجاجي[2]، ومنعوا الإعراب فيها، وردّ الفراء بنقل سيبويه عن العرب إجراءه مجراها، وهو كناية عما لا يعرف اسمه أو يكره التصريح باسمه.[3]

ولقد ذكر ابن الأنباري في كتابه الإنصاف ما دار من خلاف حول إعراب الأسماء الستة بين الكوفيين والبصريين، فيقول: بأن "الكوفيون يرون بأنها معربة من جهتين، بحركة

[1] ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، المسألة رقم 02، ص13.

[2] ينظر: شرح قطر الندى لابن هشام الأنصاري: دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 1425هـ/2004م، ص59.

[3] ينظر: السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: أحمد شمس الدين، الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج2، ص125.

مفردها وبالحرف بمعنى أنها تعرب من جهتين أو مكانين، وأن البصريون يرون بأنها معربة من جهة واحدة".[1]

واختار الكوفيون إعراب الأسماء الستة قياسا على الأصل في إعراب الأسماء بالحركات ولا يلجأ إلى الإعراب بالحروف إلا للضرورة أو السماع، أي أنهم لا يرون أن الإعراب بالحروف هو الأصل بل هو فرع، فيقولون: الضمة والواو علامة الرفع والفتحة والألف علامة النصب والكسرة والياء علامة الجر وهو مذهب الكسائي والفراء.[2]

واختار البصريون أن الأصل في الأسماء الستة أن تعرب بالحروف إذا استوفت الشروط قياسا على كلام العرب في النطق بها، وللتخفيف والسهولة في النطق بها، لأن الإعراب دخل في الكلام للفصل وإزالة اللبس.[3]

رجح ابن الأنباري قول البصريين في هذه المسألة لأن حجتهم أقوى من حجة الكوفيين عند جمهور النحويين.

وبعد الاطلاع على هذه المسألة عند النحاة وجدنا أن القول الراجح هو قول ابن الأنباري وهو مذهب البصريين.

---

[1] ينظر: عبد اللطيف الشرجي: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، تح: طارق الجنابي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987، ص28.

[2] عبد اللطيف الشرجي: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، ص28.

[3] المرجع نفسه، ص28.

وفي هذا الصدد يذكر السيوطي أن الأصح هو مذهب سيبويه والفارسي وجمهور البصريين بأنها معربة بحركات مقدرة في الحروف وأنها أتبع فيما قبل الآخر للآخر، ولأن أصل الإعراب أن يكون بحركات ظاهرة أو مقدرة، فإذا أمكن التقدير مع وجود النظير لم يعدل عنه.[1]

ويذكر الزجاجي بأن الكل يجمع على أن الإعراب إنما يدخل آخر حرف الاسم المتمكن وكذا الفعل المضارع، وذلك الحرف هو حرف الإعراب، فلو كان الإعراب حرفا ما دخل على حرف[2]، لأن حد الإعراب هو اختلاف أواخر الكلم باختلاف العوامل لفظا أو تقديرا[3]، وهذا هو عين ما ذهب إليه البصريون.

المسألة الثانية: علة إعراب المثنى والجمع.[4]

المثنى: هو ما دل على اثنين بزيادة في آخره صالح للتجريد عنها.[5]

والجمع: هو صيغة تدل على أكثر من اثنين وهو يقابل الإفراد الذي يدل على واحد أو واحدة.

والعلة في إعراب المثنى والجمع من المسائل التي ذكرها ابن الأنباري في كتابه "الإنصاف": حيث ذكر بأن الكوفيين ذهبوا إلى أن (الألف والواو والياء) في التثنية والجمع

[1] ينظر: السيوطي: همع الهوامع، ص125.
[2] الزجاجي: الإيضاح، ص71.
[3] ابن الأنباري: أسرار العربية، ص45.
[4] ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، المسألة رقم(03)، ص134.
[5] السيوطي: همع الهوامع، ص134.

إعراب كالحركات، بمنزلة الضمة والفتحة والكسرة، على عكس ما ذهب إليه البصريون من أنها حروف إعراب وليست بإعراب.[1]

واختار الكوفيون الألف والواو والياء في التثنية والجمع إعرابا كالحركات، بناء على حجج قياسية ترجع إلى الأصل في إعراب الأسماء بالحركات، ولأن هذه الحروف تتغير كتغير الحركات على حسب اختلاف العوامل، فلما تغيرت دل على أنها إعراب.[2]

واختار البصريون بأنها ليست بإعراب، بناء على حجج قياسية تدل على أن هذه الحروف من تمام صيغة الكلمة التي وضعت لذلك المعنى.[3]

ورجح ابن الأنباري قول البصريين بناء على قوة حجتهم التي استدلوا بها في هذه المسألة، وبعد الاطلاع على هذه المسألة عند النحاة وجدنا بأن القول الراجح هو قول ابن الأنباري.

وفي هذا الصدد يذكر "عبد اللطيف الشرجي" أن قول البصريين هو الصحيح المعتمد، لأن هذه الحروف إنما زيدت للدلالة على التثنية والجمع فقط[4]، وذكر "ابن يعيش" في شرح المفصل أن ما ذهب إليه البصريون هو الصحيح وهو مذهب سيبويه.[5]

[1] ينظر: عبد اللطيف الشرجي: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، ص27.

[2] المرجع نفسه، ص27.

[3] ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص27.

[4] عبد اللطيف الشرجي: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، ص27.

[5] ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 2001، ج3، ص188.

ويعتبر ما قاله المازني والمبرد والأخفش سعيد بن مسعدة من ضمن الأقوال المشهورة في هذا الشأن، فهم يرون أن هذه الحروف دليل الإعراب وليست بإعراب ولا حروف إعراب.[1]

المسألة الثالثة: علة تقديم خبر المبتدأ عليه.[2]

اختلف الكوفيون مع البصريين في هذه المسألة، فذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه مفردا كان أم جملة، وذهب البصريون إلى أنه يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه المفرد والجملة.[3]

واختار الكوفيون المنع في تقديم خبر المبتدأ عليه، وحجتهم في ذلك قياسية مفادها أنه يؤدي إلى تقديم الاسم على ظاهره، لأن الخبر يتحمل ضميرا يرجع إلى المبتدأ إذا كان مشتقا[4]، ولأن رتبة ضمير الاسم بالإجماع تكون بعد ظاهره.

واختار البصريون الجواز في تقديم خبر المبتدأ، وحجتهم في ذلك قياسية مفادها ما جاء في كلام العرب وأشعارهم، ورجَّح ابن الأنباري رأي البصريين ورد حجج الكوفيين.

وبعد الاطلاع على هذه المسألة عند النحاة وجدنا أن القول الراجح هو قول ابن الأنباري وهو مذهب المدرسة البصرية، وفي هذا الصدد يذكر السيوطي في "المطالع

[1] ينظر الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص130.

[2] ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، المسألة رقم(09)، ص61.

[3] المرجع نفسه، ص61.

[4] ينظر: المرجع نفسه، هامش، ص61.

السعيدة" أنه يجوز تقديم الخبر حيث لا مانع نحو "قائم زيد"، وذكر عشرة أسباب يكون فيها تقديم الخبر على المبتدأ واجبا، ومنها استعماله في الأمثال، لأن الأمثال لا تتغير.[1]ولأنها تُحكى مثل " في كل واد بنو سعد "، وأما باقي الأسباب فهي: أن يكون الخبر واجب التصدير كالاستفهام ، أو أن يقترن المبتدأ بفاء الجزاء أو بأداة حصر، أو أن يشتمل المبتدأ على ضمير مُلابس، أو أن يكون دالا على ما يُفهم بالتقديم ولا يفهم بالتأخير، أو أن يكون تقديم الخبر مُصححا للابتداء بالنكرة، أو أن يكون مسندا دون أمَّا، أو يكون الخبر " كم " الخبرية أو مضافا إليها، أو يكون اسم إشارة ضرفا نحو "هنا زيد وثَم عمرو ".

وفي "ائتلاف النصرة" يقول "عبد اللطيف الشرجي" أن ما ذهب إليه البصريون هو الصحيح، لأن الخبر وإن كان متقدما في اللفظ فهو متأخر في المعنى، ولهذا جاز إجماعا (ضرب غلامه زيد)، وقال تعالى: "فأوجس في نفسه خيفة موسى" [طه: الآية 67].[2]

المسألة الرابعة: العلة في اسمية أو فعلية (نعم وبئس).[3]

نعم وبئس كما قال "الشيخ الإمام أبو بكر" أصلان للصلاح والرداءة، ويكون فاعلهما اسما يستغرق الجنس إما ظاهر وإما مضمر[1]، وهما لإنشاء المدح والذم على سبيل المبالغة.[2]

[1] ينظر: جلال الدين السيوطي: المطالع السعيدة في شرح الفريدة، تح: نبهان ياسين حسين، دار الرسالة، بغداد، 1977، ج1، ص267-269.

[2] ينظر: عبد اللطيف الشرجي، ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، ص33-34.

[3] ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، المسألة رقم(14)، ص86.

واتفق النحاة على أنهما فعلان ماضيان مبنيان على الفتح، وهما ملازمان للمضي، إذ لا يأتي منهما المضارع ولا الأمر، فهما فعلان جامدان لا ينصرفان.[3]

اختلف الكوفيون والبصريون في هذه المسألة، فذهب الكوفيون إلى أنهما اسمان قياسا على ما يكون للأسماء من خصائص، كدخول حرف الجر عليهما، وكذا النداء، وأنهما لا يتصرفان بالإضافة إلا أنه لا يحسن اقتران الزمان بهما كسائر الأفعال[4]، كما استدل الكوفيون بما سمعوه من كلام العرب في جملة (واللهِ مَا هِيَ بِنِعْمَ الوَلَدُ).

واختار البصريون على أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان بناء على حجج قياسية مفادها ما جاء في كلام العرب وأقوالهم.

ورجح ابن الأنباري ما ذهب إليه البصريون ورد حجج الكوفيين وبين فساد ما ذهبوا إليه من أقوال وحجج.

وبعد الاطلاع على هذه المسألة عند النحاة وجدنا أن القول الراجح هو قول ابن الأنباري وهو مذهب البصريين.

وفي هذا الصدد يذكر "الأزهري" في شرح التصريح على التوضيح، أنهما فعلان عند جميع البصريين وعند الكسائي من الكوفيين والدليل على ذلك اتصال تاء التأنيث الساكنة

---

[1] ينظر: الجرجاني: المقتصد في شرح الإيضاح، تح: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، د ط، 1982، ج1، ص363.

[2] خالد بن عبد الله الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ج2، ص75.

[3] أحمد جمعة محمود الهيثي: أسلوب المدح والذم، قسم اللغة العربية، جامعة الأنبار، كلية التربية الأساسية، ص3.

[4] ينظر: ابن الأنباري: أسرار العربية، تح: بركات يوسف هبود، دار الأرقم، بيروت، ط1، 1999، ص90-91.

بهما عند جميع العرب.[1] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خروج ما استدل به الكوفيون من كلام العرب، ومما يدل كذلك على أنهما فعلان أن الضمير يتصل بهما على حد اتصاله بالأفعال، كما أنهما مبنيان على الفتح كالأفعال الماضية.[2]

والنتيجة من كل هذا أن (نعم وبئس) فعلان جامدان، وعلى ذلك يقول ابن هشام الأنصاري في أوضح المسالك: [3]

فعلان غير متصرفين نعم وبئس رافعان اسمين[4]

المسألة الخامسة: العلة في رفع المبتدأ والخبر.[5]

المبتدأ: هو الاسم المنتظم منه مع اسم مرفوع به جملة[6]، وعرفه "الأشموني" بأنه الاسم العاري عن العوامل اللفظية غير الزائدة، مخبرا عنه أو وصفا رافعا لمستغن به[7]، وفي شرح المفصل للزمخشري يقول "ابن يعيش": "اعلم أن المبتدأ: كل اسم ابتدأته وجردته من العوامل اللفظية للإخبار عنه"[8]، وفي الكتاب يقول "سيبويه": "فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه

[1] الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، ص75.

[2] ابن الأنباري: أسرار العربية، ص90.

[3] الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، ص76.

[4] ينظر: ألفية ابن مالك: باب" نعم وبئس وما جرى مجراها"، رقم البيت: 485.

[5] ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، المسألة رقم(05)، ص40.

[6] أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان الحمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998، ص1079.

[7] الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1955، ج1، ص90.

[8] ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، ص221.

كلام، والمبتدأ والمبني عليه رفع، فالابتداء لا يكون إلا بمبني عليه، فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده فهو مسند ومسند إليه".[1]

الخبر: هو التابع المحدث به عن الاسم، المحكوم عليه على سبيل الإسناد.[2]

اختلف الكوفيون مع البصريين في هذه المسألة، فذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ، فهما يترافقان لكونهما متلازمين، وذهب البصريون إلى أن الابتداء هو العامل الرئيس لرفع المبتدأ، وأما الخبر فاختلفوا فيه على ثلاث فرق، فذهب سيبويه والجمهور إلى أنه يرتفع بالابتداء وحده، وذهب آخرون ومنهم المبرد إلى أنه يرتفع بالابتداء والمبتدأ معا، وذهب البعض الآخر إلى أنه يرتفع بالمبتدأ والمبتدأ يرتفع بالابتداء.[3]

اختار الكوفيون أن المبتدأ والخبر يترافعان ببعضها البعض، بناء على حجج نقلية وقياسية من القرآن الكريم ومن كلام العرب.

واختار البصريون الابتداء عاملا رئيسا لرفع المبتدأ والخبر بناء على حجج قياسية في نحو "كان" وأخواتها، و"إن" وأخواتها.

رجح ابن الأنباري قول البصريين ودعم رأيه بحملة من الشواهد النثرية والمنطقية، وفي هذا الصدد يذكر سيبويه ومن تابعه من البصريين إلى أن المبتدأ يرتفع بتعريه من

[1] سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، ج2، ص126.
[2] أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، ص1085.
[3] ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص40.

العوامل اللفظية.[1] لأن العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية، وإنما هي أمارات ودلالات.. والأمارة والدلالة تكون بعدم شيء كما تكون بوجود شيء.[2] وإذا ثبت هذا جاز أن يكون التعري من العوامل اللفظية عاملا لأن العوامل اللفظية ليست مؤثرة في المعمول حقيقة.[3]

وذهب بعض البصريين إلى أن الرافع للمبتدأ معنى، وذلك المعنى هو الابتداء، والابتداء هو اهتمامك بالشيء قبل ذكره وجعلك له أولا لثان يكون الثاني حديثا عنه.[4]

وقد نفى بعض النحويين القول بأن المبتدأ يرتفع بما في النفس من معنى الإخبار عنه، وحجتهم أن الأمر لو كان كما زعم لوجب ألا ينتصب إذا دخل عليه عامل النصب، لأن دخوله عليه لم يغير معنى الإخبار عنه، ولوجب ألا يدخل عليه مع بقائه فلما جاز ذلك دل فساد ما ذهب إليه[5]، وإنما يدخل الجار والناصب والرافع سوى الابتداء على المبتدأ.[6]

---

[1] الأنباري: أسرار العربية، ص72.

[2] الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص42.

[3] الأنباري: أسرار العربية، ص73.

[4] عبد اللطيف الشرجي: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، ص31.

[5] الأنباري: أسرار العربية، ص72-73.

[6] المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، ط2، 1979، ج2، ص126.

فالمبتدأ يكتسب الرفع بمجرد وقوعه في أول الجملة، أي أن كونه في بداية الجملة هو السبب في رفعه، فالابتداء بنفسه هو العامل في رفع المبتدأ، وهذا ما قصده سيبويه بقوله: "واعلم أن المبتدأ لا بد له من أن يكون المبني عليه شيئا هو هو".[1]

ويذكر ابن يعيش في شرح المفصل، أن المبتدأ يكون مرفوعا بشرط أن يكون مجردا من العوامل اللفظية، لأنه إذا لم يتجرد منها تلعّبت به، فرفعته تارة ونصبته أخرى وإذا كان كذلك خرج عن حكم المبتدأ والخبر إلى شبه الفعل والفاعل فغصبتهما القرار على الرفع.[2]

أما علة رفع خبر المبتدأ فهناك اختلاف بين الكوفيين والبصريين في ذلك، فذهب الكوفيون إلى أن عامله المبتدأ[3]، ووجه هذا أن المبتدأ طالب للخبر طلبا لازما لكونه لا يؤدي معنى يحسن السكوت عليه بدونه.[4]

فالكوفيون يرون أن المبتدأ مرفوع بالذكر الذي في الخبر، فإن لم يكن ثم ذكر ترافعا، أي رفع كل واحدا منهما الآخر، وهذا ما ذهب إليه ابن جني. [5]

أما البصريون فيرون أن الابتداء وحده هو العامل في الخبر، لأنه لما وجب أن يكون عاملا في المبتدأ وجب أن يكون عاملا في الخبر، قياسا على العوامل اللفظية التي تدخل على المبتدأ[1]، وعليه يقول ابن هشام الأنصاري:

---

[1] سيبويه: الكتاب، ص127.

[2] ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، ص221.

[3] الأنباري: أسرار العربية، ص77.

[4] محمد محيي الدين عبد الحميد: عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، ص194.

[5] أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، ص1085.

ورفعوا مبتدأ بالابتداء كذلك رفع خبر بالمبتدأ[2]

فالخبر هو الابتداء في المعنى أو يكون الخبر غير الأول، فيكون له فيه ذكر فإن لم يكن على أحد هذين فهو محال[3]، وهذا ما رد به المبرد على الكوفيين في قولهم أن المبتدأ والخبر يترافعان ببعضهما البعض.

فالبصريون يرجعون الرفع إلى الابتداء، أي أن المبتدأ مرفوع لأنه في أول الجملة والخبر مرفوع لأنه يكمل معنى المبتدأ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن البصريين يميلون إلى التفسير القواعدي الصارم والقائم على التحديد الدقيق للعوامل.

المسألة السادسة: العلة في نصب المفعول به.[4]

المفعول به: هو ما كان محلا لفعل الفاعل خاصة نحو "ضرب زيدا"[5]، وقيل: هو كل اسم تعدى إليه فعل[6]، وهو من الفضلات، ومن أقسام المفعول التي تستحق النصب نجد: (المفعول المطلق، والمفعول له، والمفعول فيه، والمفعول معه).

يقول ابن الأنباري أن الكوفيين يرون أن العامل في المفعول النّصب الفعل والفاعل جميعا، وأن البصريين يرون العلة في نصب المفعول به الفعل وحده.[1]

---

[1] الأنباري: أسرار العربية، ص77.

[2] الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، ص196.

[3] المبرد: المقتضب، ص128.

[4] ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف في سائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، المسألة رقم 11، ص72.

[5] أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، ص1466.

[6] الأنباري: أسرار العربية، ص83.

فالكوفيون عندما قالوا إن العامل في نصب المفعول به هو الفعل والفاعل معا لم يطلقوا هذا القول عبثا، بل استدلوا عليه بعلل وأدلة نحوية، قالوا: "إن الفاعل والمفعول يشتركان في المعنى الذي يحدثه الفعل، فالفاعل يحدث الفعل من جهة الفاعلية والمفعول يقع عليه الفعل من جهة المفعولية، وبما أن هذا التأثير لا يتم إلا بوجود الفاعل والمفعول معا، فالعامل في النصب ليس الفعل وحده، بل الفعل والفاعل كعاملين معا، وإليه ذهب الفراء.[2]

ويقول الكوفيون كذلك، لو كان الفعل وحده هو العامل في المفعول لكان يجب أن يليه، ولا يفصل بينه وبينه[3]، ويقول ابن الأنباري: "إن هذا يبطل بـ "إن" التي تنصب الاسم وإن لم تله"[4]، فالأصل في المفعول به التأخر عن الفعل والفاعل.[5]

رجح ابن الأنباري قول البصريين في هذه المسألة ورد حجج الكوفيين وأقوالهم بناء على التحليل النحوي الدقيق.

يجمع البصريون على أن الفعل له تأثير العمل، أما الفاعل فلا تأثير له في العمل، لأنه اسم والأصل في الأسماء ألا تعمل فهو باق على أصله في الاسمية فوجب ألا يكون له تأثير في العمل وهذا هو الصحيح. [6]

---

[1] ينظر: ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص72.

[2] السيوطي: همع الهوامع، ص05.

[3] الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص76.

[4] المرجع نفسه، ص76.

[5] السيوطي: المطالع السعيدة، ص359.

[6] عبد اللطيف الشرجي: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، ص34.

وفي هذا الصدد يقول جلال الدين السيوطي في "المطالع السعيدة": أن المفعول به هو ما وقع عليه فعل الفاعل، والمقصود بالوقوع التعلق ليدخل نحو "أوجدت ضربا"، و"أحدثت قتلا"، "وما ضربت زيدا".

وما يقع عليه فعل فانتبه والناصب الفعل هو المفعول به[1]

وفي "الفوائد الضيائية" يبين "الجامي" أن المراد بوقوع فعل الفاعل عليه هو تعلقه به بلا واسطة حرف جر، فإنهم يقولون في "ضربت زيدا" عن الضرب واقع على زيد ولا يقولون في "مررت بزيد" إن المرور واقع عليه، بل ملتبس به. [2]

فالفعل هو الذي ينصب المفعول في الأصل لأنه هو الذي يدل على الحدث، والفاعل لا يمكن أن يكون عاملا في المفعول لأنه مسند إليه، وليس من خصائصه التأثير على غيره، لأن من قواعد النحو قيامها على الإسناد، فالفعل مسند والفاعل مسند إليه، والمفعول به متأثر بالفعل فقط، والعامل لا يكون إلا متقدما على المعمول، بينما الفاعل يأتي بعد المفعول أحيانا، فالفعل هو العامل الحقيقي في النصب بينما الفاعل لا علاقة له من حيث الإعراب بالمفعول.

المسألة السابعة: العلة في فعل التعجب.[3]

[1] السيوطي: المطالع السعيدة، ص359.

[2] الجامي: الفوائد الضيائية، تح: إلياس قبلان، سيفا، إسطنبول، د ط، 2015، ص194.

[3] ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، المسألة رقم 10، ص105.

التعجب: معنى من المعاني التي تعرض في النفوس، ويكون مما خفي سببه، وخرج عن نظرائه[1]، ولفظه يأتي في الكلام على ضربين؛ أحدهما "ما أفعله" والآخر "أفعل به"[2]، والتعجب يكون مما ندر من الأحكام ولم تعرف علته، فإن أخل هذا المعنى بأحد الشرطين بطل التعجب ومنه قول القائل: "إذا عرف السبب بطل العجب".[3]

وفي موضوع التعجب نجد مسألة نحوية تتعلق بفعل التعجب، وصيغته "أفعل" يعرض فيها الخلاف بين البصريين والكوفيين حول هذا الفعل من حيث كونه فعلا أو اسما، فهل "أفعل" في التعجب (مثل: ما أحسن زيدا!) فعل أم اسم؟

اختار الكوفيون أن "أفعل" في التعجب اسما، بناءا على حجج قياسية مفادها أنه اسم جامد لا يتصرف، والمجرد من خصائص الأسماء، وكذلك يدخله التصغير الذي هو من خصائص الأسماء كذلك واستشهدوا على ذلك بشواهد من أشعار العرب.[4]

فالكوفيون يرون أن صيغة "أفعل" بهذه الصورة وبهذا السياق "جامد لا يتصرف" أي لا يأتي منه مضارع أو أمر، فلو كان فعلا لتصرف كما تتصرف الأفعال، أي لأمكن أن نقول "يحسن" أو "أحسن" على سبيل المثال، ولما لم يتصرف دل على أنه اسم جامد وليس فعلا.

---

[1] ابن الخشاب: المرتجل، تح: علي حيدر، دمشق، د ط، 1972، ص145.

[2] ابن جني: اللمع في العربية، تح: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي، عمان، د ط، 1988، ص96.

[3] ابن الخشاب: المرتجل، ص145.

[4] عبد اللطيف الشرجي: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، ص118.

فيرون أن "ما أحسن زيدا" اسما مجردا من الصلة والصفة، لأنه لا يتعجب إلا من الشيء الذي يتعدى حد أشكاله ويبلغ مرتبة فوق مراتبها.[1]

إن ما ذهب إليه البصريون يعتبر هو الرأي الشائع عند جمهور النحاة لأن استعمال "أفعل" في التعجب يؤدي معنى الفعل (التعجب من صفة) ويعامل في الإعراب معاملة الفعل الماضي وإليه ذهب أبو الحسن على ابن حمزة الكسائي من الكوفيين.[2]

فهم يرون أن "أفعل" يدل على حدث وقع في الماضي وله فاعل، ويعمل عمل الفعل، لذا هو "فعل ماض"، ولأنه إذا وصل بضمير المتكلم دخلته نون الوقاية، وهي من خواص الأفعال.[3]

والذي يدل على أن "أفعل" في التعجب فعل لا اسم، أن الضمير المتصل به إذا كان للمتكلم تتقدمه نون الوقاية التي لا تلحق إلا في الأفعال ولو كان اسما كان مضافا إلى الياء، ياء المتكلم، وهي إذا أضيف إليها اسم لم تحتج إلى نون، فلو أضفت أحمر وأحسن إليك لقلت أحمري وأحسني، فقولك في التعجب: ما أحسنني وما أكرمني هو كقولك في غير التعجب: أعجبني وأكرمني، ولأن آخره مبني على الفتح على منهاج الأفعال الماضية إلى غير ذلك من الأدلة على فعليته.[4]

---

[1] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح، ص373.

[2] الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص105.

[3] عبد اللطيف الشرجي: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، ص119.

[4] ابن الخشاب: المرتجل، ص147.

المسألة الثامنة: العلة في الفعل والمصدر أيهما مشتق من صاحبه.[1]

الفعل: كلمة دلت على معنى في نفسها مقترنة بزمن معين وضعا[2]، وذكر ابن السراج في كتابه "الأصول في النحو" أن الفعل ما دل على معنى وزمان وذلك الزمان إما ماض وإما حاضر وإما مستقبل.[3]

المصدر: هو اللفظ الدال على الحدث مجردا عن الزمان، متضمنا أحرف فعله لفظا، مثل (علم علما)، أو تقديرا مثل (قاتل قتالا) أو معوضا بما حذف بغيره، مثل (وعد عدة، وسلم تسليما).[4]

تعتبر هذه المسألة من المسائل النحوية والصرفية التي تتعلق بالعلاقة بين "الفعل" و"المصدر"، وهي مسألة خلافية بين نحاة البصرة والكوفة أيهما الأصل؟ الفعل أم المصدر؟

اختار الكوفيون أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه[5]، واستدلوا على ذلك من ثلاثة أوجه منها: أن الفعل يعمل في المصدر ولا شك أن رتبة العامل رتبة المعمول.[6]

وفي هذا الصدد يقول أبو البقاء العكبري: أن ما ذهب إليه الكوفيون لا يصلح دليلا من جهتين: أن الاشتقاق يوجد من جهة المعاني والتصريف لا من جهة العامل والمعمول،

[1] ينظر: ابن الأنباري: الإنصاف: في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، المسألة رقم 29، ص192.

[2] الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو، تح: المتولي رمضان أحمد الدميري، د ط، 1988، ص95-96.

[3] ابن السراج: الأصول في النحو، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2009، ج1، ص44.

[4] ينظر: أبو البقاء العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2009، هامش، ص185.

[5] الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص192.

[6] الأنباري: أسرار العربية، ص138.

وأن الحرف يعمل في الاسم وليس الحرف مشتقا من الاسم وكذلك الفعل يعمل في الأعلام والأجناس التي ليست مصادر، ولا يقال هي مشتقة منه.[1]

ويتعلل الكوفيون بأن الفعل هو المستعمل في الكلام أكثر من المصدر، لأن الفعل هو العنصر الأساسي في التركيب اللغوي لأنه يسند إليه الفاعل، ويكون الجملة، والجملة الفعلية هي الأكثر شيوعا في الكلام العربي.

واختار البصريون أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه[2]، لأن المصدر لا يدل على زمان مختص والفعل في الأصل يدل على زمان مختص فصار كالمطلق، فكما أن المطلق أصل المقيد فكذلك المصدر أصل الفعل ولأن المصدر اسم والاسم يقوم بنفسه ويستغني عن الفعل.[3]

ورجح ابن الأنباري رأي البصريين في هذه المسألة ويبين فساد ما ذهب إليه الكوفيون، وبعد الاطلاع على هذه المسألة عند النحاة وجدنا أن القول الراجح هو قول ابن الأنباري وهو مذهب البصريين.

وفي هذا الصدد يقول أبو البقاء العكبري أن ما ذهب إليه البصريون يكون الدليل عليه من أمرين هما:

[1] أبو البقاء العكبري: اللباب، ص185-186.

[2] الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص192.

[3] عبد اللطيف الشرجي: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، ص111.

1-أن المصدر يدل على الحدث فقط، والفعل يدل على الحدث والزمان، وما يدل على معنى واحد كالمفرد، وما يدل على معنيين كالمركب والمفرد قبل المركب.

2-أن المصدر جنس يقع على القليل والكثير والماضي والمستقبل فهو العموم، والفعل يختص بزمان معين والعام قبل الخاص.[1]

فالمصدر يدل عند البصريين على الحدث المجرد ويمثل المعنى الذهني الخالص (الحدث من دون زمن أو فاعل)، لذلك هو أصل الاشتقاق ومنه تبنى الأفعال لتسند إلى زمن وفاعل مثلا: (ضربٌ) يدل على الحدث ثم يبنى منه (ضرَبَ) بإسناده إلى زمن وفاعل.

وفي "التبيين" يذكر أبو البقاء العكبري، أن سيبويه نص على اشتقاق الفعل من المصدر بقوله: "وأما الأفعال فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما هو كائن لم ينقطع ولما سيكون وأخذت بمعنى اشتقت، وأحداث الأسماء ما كان منها عبارة الحدث وهو المصدر".[2]

وعليه فالمصدر أسبق عند البصريين في الوجود العقلي لأن الفعل يتطلب تصور الحدث أو المعنى (أي المصدر) أولا، ثم إسناده إلى فاعل وزمان، إذا من حيث الترتيب العقلي المصدر يأتي أولا.

[1] أبو البقاء العكبري: اللباب، ص185.

[2] أبو البقاء العكبري: التبيين (عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين)، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986، ص144-145.

ومن بين الحجج كذلك أن المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل للمقيد، فكذلك المصدر أصل للفعل[1] ويمكن الاشتقاق من المصدر مباشرة مثلا: ضرْبٌ، ضارب(اسم فاعل)، مضروب (اسم مفعول)، مضرِبٌ (اسم آلة) فهذه المشتقات مبنية على المصدر مباشرة.

والنتيجة من كل هذا أن البصريين يعتمدون على التحليل العقلي واللغوي المجرد والكوفيون يعتمدون على الاستعمال والوظيفة في السياق، وكلا الطرفين قدم عللا مقبولة والخلاف بينهم يعكس غنى التفكير النحوي العربي، وعلى الرغم من اختلاف الآراء فإن هذا التباين قد أثرى الدرس اللغوي ومهد لتطوير نظريات الاشتقاق في الدراسات اللغوية اللاحقة.

كما تبرز هذه المسألة العمق النظري والدقة التحليلية التي اتصف بها النحويون العرب، كما توضح التفاعل بين الاستعمال اللغوي والتحليل العقلي في تأسيس القواعد النحوية والصرفية والمساهمة في تعميق الفهم ببنية الكلمة العربية وعلاقاتها الاشتقاقية.

خلاصة: وختاما يمكن القول بأن العلل النحوية هي التبريرات التي يقدمها النحاة لشرح القواعد النحوية، وهي تختلف بين المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية وهي توضح الفروق بين المدرستين من خلال مسائل "الإنصاف" لابن الأنباري.

وتعتبر النماذج المختارة من هذا الكتاب القيم مسائل ليست فقط جوهرية في علم النحو، بل إنها تبرز بوضوح فلسفة كل مدرسة في التعليل والاستدلال، لذا فإن هذه المسائل

[1] الأنباري: أسرار العربية، ص137.

تعتبر ذات قيمة كبيرة لأنها تسلط الضوء على كيفية تشكل القواعد النحوية عبر العلل التي قدمها النحاة الأوائل.

وقد سعى النحاة من خلال العلل النحوية إلى تفسير الظواهر اللغوية وإيجاد مبررات منطقية أو قياسية لها، مما ساهم في بناء منهج تحليلي دقيق في دراسة اللغة العربية.

كما برزت العلل النحوية بوضوح في أعمال نحاة البصرة والكوفة، حيث اعتمد البصريون على التعليل العقلي والقياس الصارم، بينما توسع الكوفيون في السماع والاستشهاد باللغات المختلفة، وتتنوع هذه العلل بين تعليمية تهدف إلى تبسيط القواعد، وقياسية تستند إلى منطق الاستقراء اللغوي، وجدلية تستند الى علم الكلام والفلسفة.

وعليه فموضوع العلل النحوية يظهر مدى دقة اللغة العربية في تراكيبها، كما يساعد في فهم أعمق لقواعدها، مما يجعله من المواضيع الأساسية في الدراسات اللغوية والنحوية، وهكذا تبقى العلل النحوية أداة أساسية لفهم اللغة العربية بعمق، مما يسهم في الحفاظ على أصالتها وتطوير دراستها.

الخاتمة

لقد كانت هذه الدراسة الموسومة بـ "العلل النحوية بين المدرستين البصرية والكوفية من خلال كتاب الإنصاف لأبي البركات الأنباري" محاولة جادة للغوص في أعماق الفكر النحوي العربي، من خلال تتبع واحدة من أبرز القضايا النحوية وأكثرها إثارة للجدل، وهي قضية "العلة النحوية" التي شكلت محورا أساسيا في التنظير النحوي، ووسيلة لفهم الظواهر اللغوية، وضبط القواعد النحوية.

كما جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على الخلاف النحوي بين المدرستين البصرية والكوفية، لا سيما في جانب العلل، من خلال عدسة "كتاب الإنصاف" لأبي البركات الأنباري، الذي يعد من أبرز المؤلفات التي وثقت هذا الخلاف، وناقشته بأسلوب علمي دقيق، يجمع بين العرض والتحليل والترجيح.

ويمكن تلخيص أبرز النتائج المتوصّل إليها فيما يأتي:

- العلل النحوية لم تكن مجرد تبريرات شكلية بل كانت تعبيرا عن رؤية نحوية منهجية، تختلف باختلاف المنطلقات الفكرية والمنهجية بين المدرستين.
- المدرسة البصرية تميل إلى التقييد والاحتكام إلى القياس العقلي، بينما تظهر المدرسة الكوفية مرونة أكبر واعتمادا أوسع على السماع.
- الخلاف النحوي في كثير من الأحيان كان خلافا في وجهات النظر لا في جوهر القاعدة مما يدل على عمق الفكر النحوي وتعدد مسالكه.

- كتاب "الإنصاف" يمثل مرجعا مهما في دراسة العلل النحوية والخلافات بين المدارس النحوية، كما أنه يعكس تطورا في الفكر النحوي القائم على الاستقراء والتحليل والموازنة.

توصي هذه الدراسة بمزيد من الاهتمام بالكتب الخلافية في النحو العربي، نظرا لما تحمله من ثراء علمي ومنهجي يكشف عن عبقرية النحاة الأوائل في التعامل مع اللغة العربية.

كما توصي هذه الدراسة بتناول جميع مسائل "الإنصاف" في إطار دراسة بحثية موسعة، تصلح لأن تكون مشروع أطروحة دكتوراه من خلال مبحث العلل النحوية.

ونسأل الله أن يبارك في هذا الجهد وأن ينفع به، وأن يغفر لنا ما كان فيه من تقصير أو خطأ، إنه وليُّ ذلك هو القادر عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

أولا: المصادر.

1. ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، تح: جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 2002.
2. ابن الأنباري، أسرار العربية، تح: بركات يوسف هبود، دار الأرقم، ط1، بيروت، لبنان، 1999.
3. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، د ت.

ثانيا: المراجع:

1. إبراهيم السامرائي: المدارس النحوية، أسطورة وواقع، دار الفكر، ط1، عمان، 1987.
2. ابن الأنباري: نزهة الألباب في طبقات الأدباء، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، د ط، القاهرة، 1998.
3. ابن الخشاب: المرتجل، تح: علي حيدر، دمشق، 1972.
4. ابن السراج: الأصول في النحو، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، ج1، ط1، القاهرة، 2009.

5. ابن جني: اللمع في العربية، تح: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي، عمان، 1988.

6. ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، تح: شوقي ضفي، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1947.

7. ابن هشام الأنصاري: شرح قطر الندى، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م.

8. ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، ج3، بيروت، لبنان، 2001.

9. أبو البقاء العكبري: التبيين (عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين)، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1986.

10. أبو البقاء العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2009.

11. أبو بكر الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة، د ت.

12. أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان الحمد الخانجي، ط1، القاهرة، 1998.

13. أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج1، د ط، د ت.

14. أحمد جمعة محمود الهيثي: أسلوب المدح والذم، قسم اللغة العربية، جامعة الأنبار، كلبة التربية الأساسية.

15. الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، ج1، ط1، بيروت، لبنان، 1955.

16. أمال جلال: التعليل مظهر من مظاهر الإبداع في العربية (العلة النحوية عند ابن جني أنموذجا)، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر.

17. امحمد بابا: حدود النظرية وعلاقتها بنظرية العامل، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي.

18. تمام حسان: الأصول، عالم الكتب، القاهرة، 2000، د ط.

19. الجامي: الفوائد الضيائية، تح: إلياس قبلان، سيفا، إسطنبول، 2015.

20. الجرجاني: المقتصد في شرح الإيضاح، تح: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، ج1، 1982.

21. جلال الدين السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، تح: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، د ط، 1426هـ/2006م.

22. جلال الدين السيوطي: المطالع السعيدة في شرح الفريدة، تح: نبهان ياسين حسين، دار الرسالة، ج1، بغداد، 1977.

23. الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ج5، ط4، بيروت، لبنان، 1990.

24. الحسن بن عبد الله السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د ط، د ت.

25. حسن هنداوي: مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، دار القلم، ط1، دمشق، 1989.

26. خالد بن عبد الله الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ج2، ط1، بيروت، لبنان، 2000.

27. خديجة الحديثي: المدارس النحوية، دار الأمل، ط3، الأردن، 2001.

28. دفع الله حمد الله حسين محمد، عبد الباري محمد عمر: العلل النحوية عند ابن الوراق، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ع41، 2018.

29. الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف، محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، ج1، ط1، بيروت، 1984.

30. الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، ط3، بيروت.

31. سعيد الأفغاني: ابن الأنباري حياته، مؤلفاته، فنه، مقدمة كتاب الإغراب في جدل الإعراب لابن الأنباري، تح: سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط2، بيروت، 1971.

32. سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلة والإسلام، مكتبة دار العروبة، ط4، الكويت، 1993.

33. سعيد الأفغاني: في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، 1987.

34. سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ج2، ط3، بيروت، 1983.

35. السيرافي: شرح كتاب سيبويه، تح: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، د ط، مصر، 1986.

36. السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: أحمد شمس الدين، الكتب العلمية، ج2، ط1، بيروت، لبنان، 1998.

37. شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، ط7، القاهرة، د ت.

38. عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، تح: عبد الله الدرويش، دار يعرف، ج2، ط1، دمشق، سوريا، 2004.

39. عبد الرحمن السيد: مدرسة البصرية (نشأتها وتطورها)، دار المعارف، ط1، مصر، د ت.

40. عبد اللطيف الشرجي: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، طارق الجنابي، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1987.

41. عبد الله راجحي محمد غانم، رشيد محمد حسن الرهوي: العلة النحوية عند الشريف الكوفي في كتابه (البيان في شرح اللمع)، مجلة تهامة، ع10.

42. عبد الواحد بن علي أبو الطيب: مراتب النحويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ط2، صيدا، بيروت، 1974.

43. عثمان أبي الفتح ابن جني (ت392هـ): الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ج1، د ط، 1952، مصر.

44. على حسب الله: أصول التشريع الإسلامي، دار المعارف، ط5، مصر، 1976.

45. علي أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، دار غريب، ط1، القاهرة، 2006.

46. فاضل صالح السامرائي: أبو البركات بن الأنباري ودراساته النحوية، دار الرسالة للطباعة، ط1، بغداد، 1975.

47. الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو، تح: المتولي رمضان أحمد الدميري، 1988.

48. فوزية دندوقة: محاضرات في مادة المدارس النحوية مقدمة لطلبة الثالثة لسانس، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2021/2020.

49. مازن المبارك: النحو العربي (العلة النحوية: نشأها وتطورها)، المكتبة الحديثة، ط1، 1965.

50. المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، ج4، ط2، القاهرة، 1979.

51. محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، ط2، القاهرة، د ت.

52. محمد خان: أصول النحو العربي، مطبعة جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012.

53. محمد محيي الدين عبد الحميد: عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، المكتبة العصرية، ج1، بيروت.

54. مصطفى غلاييني: جامع الدروس العربية، تح: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية، ج1، ط28، بيروت، 1993.

55. مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة (ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، مصر، 1958.

ثالثا: المذكرات والأطروحات.

1. رقيق كمال: العلة في النحو العربي (المفهوم والمصطلح – نماذج من كتاب سيبويه)، جامعة بشار.

2. ريم خلف الجعيد: أصول النحو وتاريخه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

3. زيدان أسماء: أصول النحو، قسم اللغة العربية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف.

4. صلاح بن عبد الله بوجليع: آراء ابن درستويه النحوية والتصريفية، رسالة ماجستير، قسم النحو والصرف وفقه اللغة، كلية اللغة العربية في الرياض، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

5. عبد العزيز علي مطلك الدليمي: الدراسات النحوية واللغوية في البحر المحيط، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1992.

6. فتيحة عباس: مصادر الدراسة بين البصريين والكوفيين، جامعة تلمسان، الجزائر.

رابعا: المجلات والدوريات.

1. أدهم محمد علي حموية: منزلة التعليل النحوي من التعليل الأصولي، (مجلة البعث للعلوم الإنسانية، ع5، 2016)، جامعة البعث، سوريا، حمص.

2. أسعد الدين يوسف: النحو العربي ومدارسه، (تركيا: مجلة مسند للدراسات اللاهوتية، ع1، 2022).

3. أمين لقمان الحبار، تشهير عبد الغني محمد صالح: التعليل النحوي عند عبد القاهر الجرجاني في كتاب المقتصد في شرح الإيضاح (مجلة سر من رأى، ع32، 2013)، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق.

4. الجيلي عبد العال إدريس عمر: العلل النحوية بين القدماء والمحدثين وأثرها في تجديد النحو وتيسيره، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية.

5. دموش فاطمة الزهراء: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري في نظر دارسيه، (مجلة دراسات، المجلد7، ع2، جوان 2018)، جامعة طاهري محمد، بشار، الجزائر.

6. سليم قزعوط: التعليل النحوي من أصالة النشأة إلى تأثره بالعلوم، (مجلة التعليمية، ع4، 2019)، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر.

7. شريف عبد الكريم محمد النجار: أثر الخلاف النحوي في توجيه آيات القرآن الكريم على الحكم الفقهي (نماذج من آيات الأحكام)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج18، ع38، 1427هـ.

8. صادق فوزي دباس: جهود علماء العربية في تيسير النحو وتجديده (مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية)، العددان (1–2)، المجلد (8) 2008، كلية الآداب، جامعة الكوفة.

9. عبد الله محمد حياني: الموازنة بين كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي وكتاب العلل في النحو للوراق، (مجلة الجامعة الإسلامية، ع183)، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل.

10. قصي نور الدين: العلة النحوية بين النظرية والتطبيق، قراءة في فكر أبي الفتح بن جني، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، ع9، 2014، جامعة الجلفة، الجزائر.

11. كمال مجيدي: العتبات النصية في كتب الخلاف النحوي، وسؤال المنهج، كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف أنموذجا، الاستشهاد بالقرآن الكريم منطلقا، مجلة كلية الآداب واللغات، ع22، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2018.

12. نور الدين دريم: أثر القراءات القرآنية في ترجيح الحكم النحوي (دراسة في كتاب الإنصاف لابن الأنباري)، مجلة أمارات، ع1، ديسمبر 2017، كلية الآداب والفنون، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر.

خامسا: المواقع الالكترونية.

1. عبد الكريم اعقيلان: القبائل التي يحتج بلغتها في أصول العربية، مدونة عكاظ: https://okelan.blogspot.com

2. فراس رياض السقال: المدرسة الكوفية، مقال على شبكة الألوكة، 2017.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ

الفصل الأول: نظرة تاريخية للمدرستين البصرية والكوفية ..... - 7 -

المبحث الأول: نشأة النحو العربي. ..... - 8 -

توطئة: ..... - 8 -

المطلب الأول: الإرهاصات الأولى لوضع النحو: ..... - 9 -

المطلب الثاني: القبائل المعتمدة في وضع النحو: ..... - 12 -

المطلب الثالث: مراحل النحو العربي. ..... - 14 -

المبحث الثاني: المدرسة البصرية وأهم أعلامها. ..... - 16 -

توطئة: ..... - 16 -

المطلب الأول: نشأة المدرسة البصرية. ..... - 17 -

المطلب الثاني: أهم أعلام المدرسة البصرية. ..... - 18 -

المطلب الثالث: مصادر المدرسة البصرية وأهم خصائصها. ..... - 20 -

المبحث الثالث: المدرسة الكوفية وأهم أعلامها. ..... - 22 -

توطئة: ..... - 22 -

المطلب الأول: نشأة المدرسة الكوفية. ..... - 23 -

المطلب الثاني: أهم أعلام المدرسة الكوفية. ..... - 24 -

المطلب الثالث: مصادر المدرسة الكوفية وأهم خصائصها. ..... - 25 -

الفصل الثاني: العلل النحوية. ..... - 28 -

المبحث الأول: العلة النحوية. ..... - 29 -

توطئة: ..... - 29 -

المطلب الأول: مفهوم العلة (لغة واصطلاحا). ..... - 30 -

لغة: ..... - 30 -

اصطلاحا: ..... - 31 -

المطلب الثاني: كلام العلماء عن العلة: ..... - 32 -

المطلب الثالث: التعليل في النحو. ..... - 33 -

المبحث الثاني: نشأة العلل النحوية. ..... - 35 -

توطئة: ..... - 35 -

فهرس الموضوعات

المطلب الأول: العلة النحوية قبل سيبويه: ..... - 36 -

المطلب الثاني: العلة النحوية بعد "سيبويه": ..... - 38 -

المطلب الثالث: مراحل العلة النحوية. ..... - 39 -

المبحث الثالث: أنواع العلل النحوية. ..... - 46 -

المطلب الأول: العلل التعليمية. ..... - 46 -

المطلب الثاني: العلل القياسية. ..... - 49 -

المطلب الثالث: العلة الجدلية. ..... - 51 -

خلاصة: ..... - 54 -

الفصل الثالث: دراسة النماذج المختارة من كتاب الإنصاف ..... - 56 -

المبحث الأول: بطاقة فنية لكتاب "الإنصاف". ..... - 57 -

توطئة: ..... - 57 -

المطلب الأول: سيرة المؤلف. ..... - 57 -

المطلب الثاني: الجانب الشكلي للكتاب. ..... - 61 -

المطلب الثالث: الجانب المضموني للكتاب: ..... - 67 -

المبحث الثاني: منهج ابن الأنباري في كتابه "الإنصاف". ..... - 71 -

توطئة: ..... - 71 -

المطلب الأول: ترتيب مسائل الكتاب. ..... - 72 -

المطلب الثاني: ترجيحات ابن الأنباري في كتابه. ..... - 74 -

المطلب الثالث: مآخذ الكتاب. ..... - 77 -

المبحث الثالث: أهم المسائل المختارة من كتاب الإنصاف. ..... - 80 -

توطئة: ..... - 80 -

المسألة الأولى: علة إعراب الأسماء الستة ..... - 81 -

المسألة الثانية: علة إعراب المثنى والجمع. ..... - 83 -

المسألة الثالثة: علة تقديم خبر المبتدأ عليه. ..... - 85 -

المسألة الرابعة: العلة في اسمية أو فعلية (نعم وبئس) ..... - 86 -

المسألة الخامسة: العلة في رفع المبتدأ والخبر. ..... - 88 -

المسألة السادسة: العلة في نصب المفعول به. ..... - 92 -

المسألة السابعة: العلة في فعل التعجب. ..... - 94 -

المسألة الثامنة: العلة في الفعل والمصدر أيهما مشتق من صاحبه. ..... - 97 -

خلاصة: ..... -100 -

خاتمة ..... -102 -

قائمة المصادر والمراجع ..... -105 -

فهرس الموضوعات ..... -117 -

ملخص:

تهدف هذه المذكِّرة إلى دراسة العلل النَّحوية كما وردت في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، من خلال المقارنة بين المدرستين النحويتين البصرية والكوفية، اللتين شكَّلتان ركيزتين أساسيتين في تطوّر الفكر النَّحوي العربي.

ركَّزت الدراسة على تحليل الخلافات النحوية بين المدرستين والعلل التي استند إليها كل طرف في تبرير آرائه، وذلك بهدف الكشف عن منهج كل مدرسة في التعليل النحوي، ومدى التَّداخل أو التَّباين في استدلالاتهما، كما تم تسليط الضوء على أساليب ابن الأنباري في عرض المسائل، وطريقته في الترجيح بين الآراء، بما يعكس عمق النظر والتحليل في معالجة القضايا النحوية.

الكلمات المفتاحية: العلل النحوية، المدرسة البصرية، المدرسة الكوفية، الخلاف النحوي، ابن الأنباري، كتاب الإنصاف، النحو العربي، منهج النحاة.

Abstract:

This thesis aims to study grammatical reasoning (ʿilal naḥwiyyah) as presented in the book Al-Inṣāf fī Masāʾil al-Khilāf by Ibn al-Anbārī, through a comparative analysis of the Basran and Kufan grammatical schools, which constituted two fundamental pillars in the development of Arabic grammatical thought.

The study focuses on analyzing the grammatical disagreements between the two schools and the reasoning each side used to justify its views. The objective is to uncover each school's methodology in grammatical reasoning, as well as the extent of overlap or divergence in their arguments. Additionally, the study highlights Ibn al-Anbārī's methods in presenting issues and his approach to weighing opinions, reflecting a deep analytical insight in addressing grammatical matters.

Keywords: grammatical reasoning, Basran school, Kufan school, grammatical disagreement, Ibn al-Anbārī, Al-Inṣāf, Arabic grammar, grammarians' methodology.